بسم الله الرحمن الرحيم

شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

لمعالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:		المكان:	لم يذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح لامية شيخ الإسلام (1)

الشيخ: عبد الكريم الخضير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ففي هذه الساعة المباركة، من هذا اليوم الطيب المبارك نلتقي بالإخوة من طلاب العلم، ونتدارس موضوعاً من أهم الموضوعات، وفناً من أعظم الفنون، وهو فن الاعتقاد والعقيدة، وإن كان الدين بجميع أبوابه في غاية الأهمية بالنسبة للعالم والمتعلم، فقد ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- من حديث معاوية -رضي الله تعالى عنه- أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) مفهومه أن الذي لا يتفقه في الدين الله -جل وعلا- لم يرد به خيراً، ولكن قد يقول قائل: إن عوام المسلمين وقد فتح لهم ما فتح من أبواب الخير، من لزوم صلاة وزكاة وصوم وحج وفعل للمأمورات وترك للمحذورات، لكنهم لم يتفقهوا في الدين، هل أراد الله بهم شراً؟ أو نكتفي بقولنا: إن الله -جل وعلا- لم يرد به خيراً؟

ولو افترضنا أن شخصاً من عوام المسلمين ممن لا يقرأ ولا يكتب، لكن الله -جل وعلا- منَّ عليه بالاستقامة، فلزم الصلوات، وأدّى الزكوات، وقد يكون من أهل الأموال الطائلة، وسخّر هذه الأموال لخدمة الدين، وأنفقها في تعليم الناس الخير، هل نقول: إن الله -جل وعلا- أراد بهذا شراً؛ لأنه لم يتفقه في الدين؟ أو نكتفي بقولنا: إن الله -جل وعلا- لم يرد به خيراً؟ الخير المرتب على الفقه في الدين، والله -جل وعلا- وإن لم يرد به خيراً؛ لأنه لم يتفقه في الدين إلا أن الله -جل وعلا- أراد به خيراً حيث ألزمه الاستقامة ((قل آمنت بالله ثم استقم)) {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [(30) سورة فصلت] فهذا استقام بفعل الأوامر، وترك المحذورات والنواهي، وبذل من نفسه وماله وجاهه لنصر الدين ما بذل، هذا أراد الله به خيراً، لكنه من أبواب أخرى لا من باب الفقه في الدين.

إذا عرفنا هذا فما المراد بالفقه في الدين؟ الفقه في الدين، أولاً: الفقه الذي هو الجزء الأول، والدين الذي هو الجزء الثاني.

الفقه: يراد به الفهم عن الله وعن رسوله، ما جاء في كتابه وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-، هذا الفقه، ولا يكون ذلك إلا بعد حفظ هذه النصوص.

والمراد بالدين: الدين بجميع أبوابه، كما جاء في حديث جبريل حينما سأل النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الإسلام والإيمان والإحسان، وأجابه بالأجوبة المعروفة في الحديث المستفيض ذكره في دواوين الإسلام، قال النبي -عليه الصلاة والسلام- بعد ذلك: ((هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)) فدل على أن الدين شامل لجميع أبوابه، فيشمل العقائد، ويشمل الأحكام من العبادات والمعاملات والمناكحات والأحوال الشخصية والحدود والجنايات، ويشمل أيضاً المغازي والسير والأدب، ويشمل أيضاً الزهد والرقائق، ويشمل بقية أبواب الدين فجميع

أبواب الدين داخلة في هذا الحديث.

وكون الفقهاء الذين اهتمامهم بالأحكام العملية يصدِّرون كتبهم بما يسمى ببراعة الاستهلال، الحمد لله الذي فقَّه ما شاء في الدين واختصه...الخ.

الحمد لله الذي فقه من شاء في الدين، واختصه بالخير الوارد على لسان خير المرسلين، الخ، يقولون هذا الكلام، فمفهوم كلامهم أن الحديث الوارد فيه الترغيب في الفقه في الدين محصور على الأحكام، والأحكام باب من أبواب الدين، وإذا أردنا الحصر فالعقائد أهم وأولى أن تدخل من الأحكام؛ لأنها عند أهل العلم عُرفت بالفقه الأكبر، ويقابلها الفروع، فالأكبر هو الأصول، ولم يكن هذا التقسيم - أعني تقسيم الدين إلى أصول وفروع- معروف في عصر الصحابة والتابعين، وإنما عُرف بعدهم في تقسيم العلوم إلى تخصصات وفروع، عندهم أصول وفروع، وعندهم أيضاً وسائل، وعندهم غايات، فالمراد بالغايات معروف نصوص الوحيين، والوسائل ما يعين على فهم هذه النصوص.

وهناك ما يسمى عندهم بعلوم الآلة التي تعين على فهم الكتاب والسنة، يقسمون هذه التقاسيم، وبالإمكان لو اعتنى بارعاً بتفسير القرآن، وأدخل فيه جميع العلوم، هذا ممكن، وإذا نظرنا إلى التفاسير المتنوعة المتشعبة المطولة والمختصرة كل واحد منها يخدم جانب من هذه الجوانب، فتجد هذا يفسر القرآن بالأثر، ويحشد فيه من النصوص المرفوعة والموقوفة والآثار وغيرها ما يحشد، وهذه تفاسير الأئمة المعروفين كابن جرير وابن كثير والبغوي وابن أبي حاتم وغيرهم، تفسير بالأثر، وهذا أهم ما يفسر به القرآن الأثر، وتجد منهم من يجعل اهتمامه في تفسير القرآن لبيان الأحكام المستنبطة من الآيات، وأُلِّف في هذا كتبُ أحكام القرآن.

الحنفية ألفوا من مؤلفاتهم: أحكام القرآن للجصاص، المالكية ألّفوا أحكام القرآن لابن العربي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الشافعية ألفوا أحكام القرآن لإلكيا الطبري، والإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي وغيرهم، فهذا يخدم جانب، والأول يخدم جانب، وهناك من يخدم القرآن من الناحية اللفظية، فتجده ينصبُّ جل اهتمامه على الصناعة، صناعة اللفظ، وهنا أيضاً يتشعبون، منهم من يخدمه من ناحية النحو والصرف، ومنهم من يخدمه من ناحية المعاني والبيان وفنون البلاغة، ومنهم من يحشد في تفسيره علم الكلام، ويورد فيه جميع ما كتبه المتكلمون في مسائل الاعتقاد، كالرازي مثلاً، ومنهم من يخدم القرآن بأسلوب أدبي سلس يقرأه الطالب ولا يمله، لكن تجد الفائدة في الجملة منه أقل، ومنهم من يعنى بتناسب الآيات والسور، وفي هذا كتاب برهان الدين البقاعي (نظم الدرر) في اثنين وعشرين مجلد، وإن كان الشوكاني -رحمه الله تعالى- أنكر عليه إنكاراً شديداً، بل جزم بأنه لا مناسبة بين الآيات والسور، تنزل الآية فيقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: ضعوها في المكان الفلاني فتوضع، وانتهى الإشكال، نعم هناك آيات لا شك أن التماس المناسبة بينها وبين ما قبلها فيه شيء من التكلف، لكن لا ينكر أن كثير مما يقوله البقاعي أو غيره ظاهر وواضح، نعم، فخدمة القرآن لو اجتمعت هذه الخدمات في كتاب واحد فبينت العقائد وبسطت بحيث يستغنى بتفسير القرآن عن كتب العقائد، والأحكام أيضاً استنبطت، ويعوَّل في ذلك على ما جاء عن الله وعن رسوله -عليه الصلاة والسلام-، ثم بعد ذلك بيّن في الصناعة اللفظية ما يخدم علم النحو والصرف والبيان والمعاني والبديع والاشتقاق والوضع بعد علم القراءات

وغيرها، فهذا طيب، لو وجد كتاب يغني عن المجموع، ويمثل لنا حينئذٍ طريقة السلف في فهم القرآن، ما تجد السلف يقولون: هذا كتاب فقه، وهذا كتاب حديث، وهذا كتاب تفسير، وهذا... لا، لا يتجاوزون العشرة آيات حتى يتعلموا ما فيها من علم وعمل، ابن عمر مكث في سورة البقرة ثمان سنين يتعلم سورة البقرة، وعندنا الصبيان يحفظون سورة البقرة، ويتجاوزونها في أيام.

المقصود أن مثل هذا أعني خدمة أو الانطلاق في العلوم كلها من القرآن الكريم الذي هو أصل الأصول نافع جدًّا، لكن قد يقول قائل: أننا نحتاج في العقائد مثلاً أن ندخل في هذا التفسير مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية بكاملها، فضلاً عن مؤلفات الأئمة المتقدمين فيمكن أن يكون هذا التفسير في من مئات من المجلدات، يعني لو أدخلنا منهاج السنة، ودرء التعارض العقل والنقل، وأدخلنا الجواب الصحيح، وأدخلنا غير ذلك من كتب شيخ الإسلام ابن القيم والإمام أحمد ومن قبلهم، كتب السنة المعروفة عند أهل العلم في العقائد بالأسانيد تطول المسألة.

أقول: لو اعتنى بارع بتأليف تفسير على هذه الكيفية، وجعل المحور الذي يدور عليه والأصل الذي ينطلق منه هو القرآن، ولم يأت بهذه الكتب بكاملها، ما يلزم أن يأتي بهذه الكتب بكاملها، إنما يأتي بمقاصدها ما يحتاجه طالب العلم، وهذه الكتب فيها تكرار كثير، يستغنى عن كثير منها ببعضه، هذا يجعل طالب العلم يتحد قصده وهمه إلى كتاب الله -جل وعلا-، ولا تأتي مناسبة فيها حديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا يورده، وأيضاً إذا كان هناك مجال لبيان إعرابي أو بلاغي، أو ما أشبه ذلك يورده، فطالب القرآن يكتفي به عن غيره، وهذا هو الأصل، مثل ما قلنا: لا تجد في عصر السلف كتاب تفسير يعني مستقل، كتاب عقيدة مستقل، كتاب فقه مستقل، لا، ينطلقون من نصوص الوحيين ويفهمونها؛ لأنهم عرب بالسليقة، والكتاب والسنة بلغة العرب، فلا يحتاجون إلى علوم تخدم لفهم الكتاب والسنة، هي مخدومة بالسليقة، لكن أهل العلم صنفوا في الفنون ونوعوها وحددوها تيسيراً على طلاب العلم، لكن مع هذا التيسير قد يحصل شيء من التشتيت، وقد يحصل الغفلة عن أهم المهمات، قد تجد طالب العلم يتخصص تبعاً لهذا التيسير وهذا التقسيم، تجده يتخصص في علم من العلوم، ويغفل عن ما عداه، فالذي يتخصص بالسنة قد يكون من أجهل الناس بكثير مما يتعلق بالقرآن والكريم، والعكس تجد من يتخصص بالتفسير يجهل علوم السنة، ومن يتخصص بالفقه تجد معوله على التعليلات، تبعاً لما صنف في هذا الفن، وكثير من استدلالات الفقهاء فيها ما فيها، لماذا؟ لأنه جرّد الفقه عن الوحيين، لكن من تخصص في الفقه، وجعل معوله على الكتاب والسنة هذا طيّب، من تخصص في الأصول وتعمق فيه واستغرق وقته في هذا التخصص تجده يغفل عن المهمات في العلوم الأخرى، وأما من تخصص في اللغة العربية، وأضاع وقته في قراءة كتبها المطولة والمختصرة رغم أهميتها لا نقول: إن العربية لا يحتاج إليها، بل طالب العلم بأمس الحاجة إلى علم العربية، لكن هل كل طالب العلم يحتاج أن يقرأ شرح المفصل لابن يعيش في ثمانية أجزاء في عشرة أجزاء، ليس بحاجة أو يبحث عن شرح سيبويه، أو يبحث عن كتب النحو المطولات، ليس بحاجة إلى هذا، يكفيه من ذلك البلغة، وكما قال أهل العلم: إن النحو بالنسبة للكلام مثل الملح للطعام، إذا زاد أفسده؛ فضلاً عن كونه تخصص بتاريخ أو أدب أو شيء من هذا، ويضيع عمره بذلك، ويغفل بهذا عن

المقاصد، فعلى طالب العلم أن يعنى ويتفقه في الدين بجميع أبوابه؛ ليكون ممن أراد الله به خيراً، وتكون عنايته منصبة إلى الكتاب والسنة، وما يخدم علوم الكتاب والسنة.

تقسيم الدين إلى أصول وفروع، إلى فقه أكبر وفقه أصغر، لا شك أنه طارئ، شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- ينكر هذا التقسيم، ورتبوا تبعاً لذلك أهمية علم العقائد، وأن الزلل فيه أعظم من الزلل والخطأ في غيره من العلوم، وإن كان مأخذها واحد، شيخ الإسلام لا يفرق، يقول: يجعلون الصلاة مع أنها الركن الثاني من الإسلام من الفروع، الصلاة من الفروع، ويجعلون الخلاف في رؤية النبي -عليه الصلاة والسلام- ربه من الأصول، ومقتضى ذلك أن هذه المسألة أهم مما يتعلق بالصلاة، شيخ الإسلام -رحمه الله- ينكر هذا أشد الإنكار، لا شك أن هناك أركان في الإسلام، وفيه أيضاً واجبات فرائض، وفيه مستحبات، وفيه أولويات، يعني لو تعارضت هذه المطلوبات من قبل الشارع، تعارضت، فالمفاضلة بين هذه الأمور أمر مطلوب فتبدأ بالأهم فالأهم.

طالب:........

هو كلام الشيخ الإسلام -رحمه الله-، يقول: إن العلماء لما جعلوا الدين أصول وفروع، وجعلوا الأصول هي الأهم، والفروع أقل أهمية أورد على ذلك مثل هذه المسائل، هل معنى هذا أن الخلاف في رؤية الرب -جل وعلا- باعتبارها من الأصول أهم من الصلاة باعتبارها من الفروع؟ لا، ما في أحد يقول بهذا، على كل حال مسائل الاعتقاد الخلاف فيها بين الصحابة نادر جداً، وأكثرها مما اتفق عليه بينهم، وأما مسائل الأحكام العملية فالخلاف فيها كثير بين الصحابة والتابعين، وهذا معروف، وتبعاً لذلك أن ما اتفق عليه الصحابة سواء كان من الأصول أو من الفروع لا مندوحة لأحد من القول به، سواء كان من الأصول أو من الفروع، وما اختلفوا فيه فلأهل النظر فيه سعة، يعني ما اختلف فيه الصحابة و سلف هذه الأمة سواء كان في مسائل الأصول أو الفروع، المتأهل له أن ينظر ويرجح ما يترجح عنده بالدليل، ويعمل بما يعتقد، ويدين الله به -جل وعلا-.

هذه الأبيات الستة عشر التي تسمى (لامية) لأن أواخر الأبيات تنتهي بحرف اللام، ستة عشر بيتاً، وجدت بين رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، يعني في المخطوطات يوجد قبلها رسالة لشيخ الإسلام وبعدها رسالة، وكتب على بعضها (عقيدة ابن تيمية) ولذا قالوا: "اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية" اللامية باعتبار أن حرف الروي فيها اللام، وباعتبار أنها وجدت بين بعض مصنفاته، وإلا ما فيها ما يدل على أنها لشيخ الإسلام ابن تيمية، وما ذكرت في مؤلفاته، يعني ما ذكرها ابن القيم -رحمه الله تعالى- في ضمن مؤلفات شيخ الإسلام، ولذا يقولون: المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، لكن الكلام فيها، الموجود فيها حق، سواء كان لشيخ الإسلام أو لغيره -رحم الله الجميع-، وما دام الكلام حقاً فلطالب العلم أن يعنى بها، فهي منظومة طيبة على اختصارها حوت ما أُتفق عليه من مسائل الاعتقاد، فهي منظومة طيبة، وعلى طالب العلم أن يعنى بها ويحفظها، وينظر في شروحها، ولا أعرف لها شرحاً للمتقدمين.

طالب:........

قدم نسبي، هو بعد الألف الذي شرحها، بعد الألف وزيادة، أحمد المرداوي؛ لأنه ينقل عن السفّاريني، فهو متأخر، لكنه ليس من المعاصرين، وشرحه هذا طبع قبل أربعين سنة في مطابع النور في الرياض، ثم طبع

أخيراً في دار المسلم، وعليه تعليقات للشيخ صالح الفوزان، ثم رأيت شرحاً لمعاصر من طلاب العلم اسمه يوسف إيش؟

طالب: السالم.

يوسف السالم، شرح طيب في الجملة، أنا تصفحت بعض الصفحات الأولى منه، شرح طيب وموسع، يفاد منه، يستفيد منه طالب العلم مع شرح المرداوي.

يقول الناظم -رحمه الله تعالى-:

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتح هذا النظم بالبسملة؛ اقتداء بالقرآن الكريم، لكنه لم يفتتح بالحمدلة، النظم لم يفتتح بالحمدلة، ولعله أجراها مجرى الرسائل، فالرسائل تفتتح بالبسملة فقط، وبعض أهل العلم يرى أن الكتب حكمها حكم الرسائل، لا حكم الخطب التي تفتتح بالحمدلة والصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام-، ولذا صحيح البخاري -رحمه الله تعالى- ما فيه إلا البسملة، يعني مجرد عن الحمدلة والصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ لأنه في حكم الرسالة التي بعثها لطلاب العلم، ومن أهل العلم من يفتتح بالكتب بالحمدلة اقتداء بالقرآن الذي افتتح بالبسملة والحمدلة.

وأما ما ورد من حديث: ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر أجذم)) و((كل أمر ذي بال)) يعني شأن يهتم به شرعاً ((لا يفتتح بالحمد فهو أجذم)) الحديث ضعيف بجميع طرقه وألفاظه، وحسّن ابن صلاح والنووي وجمع من أهل العلم لفظ الحمد فقط، وبعض الكتاب المعاصرين ألّف كتاباً في العقيدة فلما سمع أن الحديث بجميع طرقه وألفاظه ضعيف ما ذكر لا بسملة ولا حمدلة، يقول: لا يجوز العمل بالضعيف مطلقاً، وليته اقتصر على ذلك وسكت، بل افتتح الكتاب بقوله: كانت الكتب التقليدية تفتتح بالبسملة والحمدلة، هل الكلام مستقيم ولا غير مستقيم؟ يعني لو لم...، افترض أن الحديث ما ثبت، النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يفتتح الرسائل بالبسملة، ويفتتح الخطب بالحمدلة، والقرآن أعظم مقروء، وأعظم مسموع، مفتتح بالبسملة والحمدلة، ويقول القائل: كانت الكتب التقليدية تفتتح والكتاب في العقيدة!

لأن بعض الناس ما يستوعب بعض القضايا، يعني ذهنه ما يستوعب مثل هذه الأمور، خلاص سمع من يقول: إن الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقاً، وقال: ليش نعمل بحديث ضعيف؟ يعني مثل ما سمع من بعضهم أنه ينهى عن الجلوس بعد صلاة الصبح في المسجد، يقول: لأن الحديث الوارد ضعيف، ينهى، وإذا رأى أحد جلس قال له: نريد أن نخرج، أو تجلس حتى تصلي صلاة العجائز، صلاة الإشراق، النبي -عليه الصلاة والسلام- ثبت في صحيح مسلم أنه كان يجلس حتى تنتشر الشمس، أما كون الركعتين بعد طلوع الشمس وانتشارها تصلى عملاً بهذا الحديث، أو تصلى لأنها صلاة الضحى، ولا كلام لأحد في صلاة الضحى؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- أوصى بها أصحابه، وفي حديث: ((يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة)) يعني المفاصل كل مفصل يحتاج إلى صدقة، فيصبح على كل مفصل ثلاث مائة وستون مفصلاً، كل واحد يحتاج إلى صدقة، قال: ((ويجزئ عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى)) فأنت افترض أن هذه صلاة

الضحى إذا كنت لا ترى أن الخبر ثابت، وأثبته بعضهم.

فأقول: بعض الناس إذا سمع مثل هذا الكلام وركب هذا على هذا قال: الحديث ضعيف، والضعيف لا يعمل به مطلقًا إذن ليش نجلس؟ والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه، نصوص كثيرة تحث على البقاء في المسجد، والرباط الرباط، الجلوس بين الصلاتين في المسجد، وانتظار الصلاة، والمرء ما دام ينتظر الصلاة فهو في صلاة، والملائكة تدعو له، وتصلي عليه ما دام في مصلاه، ثم يأتي من يقول مثل هذا الكلام! المقصود أن البداءة بالبسملة أمر مشروع في كل شيء، في الأكل والشرب، في الدخول والخروج، في النوم، في كل مجال يبدأ فيه بالبسملة، ولو لم يكن من ذلك إلا أن القرآن كلام الله افتتح بالبسملة.

وأما الحمدلة فأهل العلم يختلفون بالنسبة للكتب هل تجرى مجرى الرسائل فلا تفتتح بالحمدلة، أو تجرى مجرى الخطب فتفتتح بها، أما من جعل لكتابه خطبة كمسلم مثلاً هذه الخطبة تفتتح بالحمدلة، افتتح مسلم خطبة كتابه بالحمدلة، البخاري مجرد من الخطبة افتتحه بالبسملة؛ لأنه في حكم الرسالة، وهنا افتتحت هذه الأبيات بالبسملة.

يقول الناظم -رحمه الله تعالى-:

يــا ســائلي عــن مــذهبي وعقيـــــــدتي	**رزق الهــدى مــن للهدايــة يســــــــــأل**

"يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي" يا نداء، والمنادى هو السائل، فهل المقصود حقيقة النداء، أو يقال: إنه لمجرد التنبيه؟ لأن السائل أحيانًا شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- يُسأل، والسائل حاضر يمكن مناداته، وأحياناً يسأل والسائل غائب لا يمكن مناداته، وفي الرسالة الكيلانية التي كتبها شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في مائتي صفحة، قال: "كتبتها وصاحبها مستوفز يريدها" قدرة، جالس عندهم، يعني ما هو متربع، أو مضطجع ينتظرها، مستوفز، وشيخ الإسلام يكتب، والإنسان إذا أراد أن يحرر صفحة الآن يحتاج إلى وقت، بل قد يعرضها في الأوقات الخمسة، يكتبها بعد صلاة الصبح، ثم يراجعها بعد الظهر، ثم لعله يتبين له شيء، وشيخ الإسلام يكتب الكتاب في الساعة الواحدة، ما يحتاج الناس إلى قراءته في مدة طويلة، وكتب (الحموية) بين الظهر والعصر، والناس يدرسونها في سنة كاملة وما تنتهي، وكتابه (نقض التأسيس) كتبه في مدة يسيرة وحقق في ثمان رسائل، يعني في مدة أربعين سنة؛ كيف في مدة أربعين سنة؟ لأن كل واحد من هؤلاء الطلاب استغرق خمس سنوات في نصيبه، في الثُمن، الكتاب حقق في أربعين سنة، والله المستعان.

البركة، بركة الوقت والعلم والقلم السيال عند شيخ الإسلام شيء لا يخطر على بال، فكونه إن كان حاضراً لا مانع من أن يناديه، فيقول: يا سائلي هذا جوابك، وإن كان غائباً فلا يراد به حقيقة النداء.

والإخوان يقولون: إن المتن ما قرئ.

القارئ أين هو؟

تفضل.

بسم الله.

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه.

اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين والمستمعين يا رب العالمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ونفعنا الله بعلمه وبعلم شيخنا :

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي ... رزق الهدى من للهداية يسأل

اسمع كلام محقق في قوله ... لا ينثني عنه ولا يتبدل

حب الصحابة كلهم لي مذهب ... ومودة القربى بها أتوسل

ولكلهم قدر علا وفضائل ... لكنما الصديق منهم أفضل

نعم، يقول المؤلف -رحمه الله تعالى- الناظم سواء كان شيخ الإسلام إن صحت النسبة إليه أو غيره من أهل التحقيق في المعتقد، يقول:

"**يا سائلي**" والسؤال من قبل المتعلم مأمور به في قوله -جل وعلا-، **{فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}** [(43) سورة النحل] والجواب من العالم مطلوب، والكتمان مع القدرة على الجواب لا يجوز، لا سيما إلا تعين؛ فالسائل المتعلم سواء كان عامياً أو في حكمه من آحاد المتعلمين مأمور به، فالله -جل وعلا- يقول: **{فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ}** والمراد بأهل الذكر هم أهل القرآن وأهل العلم، وليس المراد بهم كما يقول بعض المتصوفة الجهال الذين لا علم عندهم يقولون: المراد بأهل الذكر هم من يلزم الذكر ولو لم يكن عنده علم، ثم ما هذا الذكر الذي يلزمونه؟ أذكار مبتدعة مخترعة لا توجد في كتاب ولا سنة، ويريدون أن ينزلوا الآية عليهم، فاسألوا أهل هذه الأذكار الذين هم أشبه بالدراويش لا يدرون ما يقولون، ولكن المراد بالذكر القرآن، وأهل القرآن هم أهل العلم.

"**يا سائلي**" هذا بالنسبة للسائل لا بد أن يسأل ما يشكل عليه، يحتاج إلى الإيضاح والبيان، يسأل أهل العلم وأهل الذكر، والمسئول أيضاً إذا تعين عليه الجواب لا يجوز له أن يتردد في الجواب، نعم إذا وجد من يكفيه المئونة، ويجيب على أسئلة السائلين فالتدافع، تدافع الفتوى معروف ومأثور عن السلف، أما إذا تعين الجواب عليه بحيث لا يوجد من يحسن الجواب على هذا السؤال سواه لا يجوز له أن يكتم ((من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)) وهذا الخبر لا يسلم من مقال، لكن له أصل بلا شك، يعني منهم من يحسنه، فإذا تعين لا بد من الجواب، أما إذا وجد من يكفيه المئونة فالصحابة تدافعوا الجواب، وقد جاء كما في كتاب المناسك في صحيح مسلم رجل يسأل ابن عمر -رضي الله تعالى وأرضاه- فدله على ابن عباس، قال: اذهب إلى ابن عباس، فقال له: أنا أريد جوابك؛ لأن ابن عباس قد مالت به الدنيا ومال بها، يعني أنه توسع في المباحات بخلاف ابن عمر، فزهده معروف، والعامة يحسنون الظن بالعالم الزاهد، العوام يحسنون الظن كثيراً بالعالم الزاهد، وهو محل إحسان الظن إذا كان لديه علم، أما العالم الذي عنده تعلق بالدنيا فإن العامة ينصرفون عنه في الغالب، وإن كان عنده علم.

ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما وأرضاه- توسع في أمور الدنيا أكثر من ابن عمر، وإلا فعلمه وزهده وورعه وتقواه وعبادته لا تحتاج إلى استدلال، لكنه بالنسبة لعبد الله بن عمر الذي لا ينام من الليل إلا

قليلاً، ولا يكاد يفطر من الأيام إلا قليلاً، يعني الفرق بينهما واضح، فهذا همه -يعني ابن عمر- الآخرة، لما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)) فكان عبد الله يقول كما في الصحيح: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح" مثل هذا العوام يثقون به بخلاف من توسع بالدنيا ولو عرف بالعلم، ولا شك أن الزهد مطلوب، والإنسان عموماً الجن والإنس إنما خلقوا لتحقيق العبودية لله -جل وعلا-، ومع ذلك على الإنسان أن لا ينسى نصيبه من الدنيا، وبون شاسع من أن يكون جل همه الدنيا، وبين أن يكون همه الآخرة.

ووجد في العصور المتأخرة مما ينتسب إلى العلم، ممن يزاحم في أمور الدنيا، وليس من ذلكم ابن عباس -رضي الله عنهما وأرضاه - وإن قيل؛ لأن المسألة أمور نسبية، يعني إذا نسبنا ابن عباس إلى ابن عمر قلنا: العبادة عند ابن عمر أوضح، والاهتمام بالعلم عند ابن عباس أوضح، وكلاهما في عبادة، لكن العوام ينظرون إلى العبادات العملية، ما ينظرون إلى العبادات العلمية.

فقال له: ابن عباس مالت به الدنيا ومال بها، ولذا تجدون العامة الآن يحرصون على أن يستفتوا هذا النوع من الناس، وإن كان في العلم أقل؛ لأن ما في قلوب الناس من العلوم وفي أذهانهم أمور لا يطلع عليها العامة، إنما يظهر لهم عباداتهم العملية فيثقون بهم، ويتجهون إلى سؤالهم، ولذا ينبغي أو مما يتأكد في حق طالب العلم الاهتمام بالعمل، ولا يكون الهدف من أجل أن يتجه إليه العوام بالأسئلة نظراً لما مهدناه أبداً؛ لأن العمل مطلوب، والعلم يقتضي العمل، وعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر، لا بد من الاهتمام بالعمل بالنسبة لطالب العلم؛ لأن الذي يثبت العلم هو العمل، والكلام في النوافل، وليس الكلام في الواجبات؛ لأن الواجبات ما عليها مساومة، لكن الكلام في الإكثار من النوافل، وخير ما يعين على تحصيل العلم العمل به، ولا يقول طالب العلم: أنا والله أنا مشغول بالطلب، مشغول بالحفظ، مشغول بالفهم، مشغول بالتردد على الدروس، وعلى المشايخ عن العمل، لا، العمل أمر لا بد منه، فالإكثار من النوافل مطلوب من المسلمين عموماً، وعلى أهل العلم وطلابه على وجه الخصوص.

"**يا سائلي**" والسائل اسم فاعل مضاف إلى ياء المتكلم "**عن مذهبي وعقيدتي**" المذهب في الغالب يطلق على المذهب الفرعي، فيقال: هذا مذهب أبي حنيفة، وهذا مذهب مالك، وهذا مذهب الشافعي، وهذا مذهب أحمد، وهذا مذهب سفيان، وهذا مذهب الأوزاعي، وهذا مذهب الظاهرية، وهذا مذهب الزيدية... إلى آخره، في الغالب يطلق على الفروع، ويدل عليه العطف، عطف العقيدة على المذهب "**يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي**" فالمذهب في الفروع، والعقيدة في الأصول، هذا هو الذي يعنيه ظاهر اللفظ، لكن حقيقة النظم هل أجاب الناظم عن مذهبه الفرعي؟ لا، ما أجاب عن مذهبه الفرعي، وإنما أجاب عن عقيدته؛ فالمذهب هنا ما يُذهب إليه في مسائل الاعتقاد، ويقال به، ويصار إليه، ويكون عطف العقيدة على المذهب من باب عطف الشيء على نفسه؛ لاختلاف اللفظ، ومذهبه الفرعي في أول الأمر الحنبلي؛ فشيخ الإسلام -وهذا الكلام كله على سبيل التنزل- أن هذه الرسالة لشيخ الإسلام، وهذه المنظومة لشيخ الإسلام، وإلا فنسبتها إليه لا يدل عليها دليل قطعي، إنما هي مجرد قرائن، يعني وجودها بين رسالتين لشيخ الإسلام يعني في المخطوطات، المخطوطات التي وجدت لهذه

المنظومة قبلها رسالة لشيخ الإسلام، وبعدها رسالة لشيخ الإسلام، فهي من بين مؤلفاته وجدت فنسبت إليه، وعلى كل حال الكلام الذي فيها حق.

إذا قلنا: إنها لشيخ الإسلام فمذهبه الفرعي هو مذهب الإمام أحمد في الأصل، وتفقه عليه، وتخرج على كتب أصحابه، ثم بعد ذلك اجتهد وخلع ربقة التقليد، فصار يعمل بالنصوص بالكتاب والسنة، ولذا تجد الفرق بين شرحه للعمدة وبين كلامه وفتاواه المتأخرة، فرق كبير يعني تقرأ في شرح العمدة لشيخ الإسلام كأنك تقرأ لفقهاء الحنابلة من بيان الروايات والوجوه والتعليلات، كأنك تقرأ للمتقدم، وأما مؤلفاته المتأخرة تجد كلاماً مستقلاً.

واختيارات شيخ الإسلام الفقهية قسمت إلى أقسام منها ما يوافق المذهب، ومنها ما يوافق رواية في المذهب ويوافق إمام آخر من الأئمة الأربعة، ويخالف المشهور في المذهب، ومنها ما يخالف المذهب بالكلية، ويوافق مذهب من المذاهب الأخرى، ومنها ما يخالف فيه المذاهب الأربعة، وهذا كثير في كلامه -رحمه الله-، ومنها ما نسب فيه شيخ الإسلام إلى أنه خالف الإجماع، فاختياراته مقسمة إلى هذه الأقسام، منها ما يستقل به ويوافق فيه بعض السلف، ويخالف فيه الأئمة الأربعة، وهذا امتحن بسببه، وقيل: إنه خالف فيه الإجماع، ومنها ما يوافق فيه إمام من الأئمة الأربعة، ومنها ما يوافق أكثر من إمام ويخالف المذهب، ومنها ما يوافق رواية المذهب ليست هي المشهورة، ومنها ما يوافق المشهور في المذهب، ومعوله وعمدته على النص، معوله -رحمه الله- على النص كما هو معروف، تفقه على كتب المذهب، وكتب الأصحاب، ثم بعد ذلك اطلع على المذاهب الأخرى ونظر في أدلتهم، ووازن بين هذه الأدلة ورجح واختار ما اختار، ووافق من وافق، وخالف من خالف، وهذه طريقة ينبغي أن يسلكها طلاب العلم، وذكرناها في مناسبات كثيرة بالنسبة لكيفية التفقه، كيف يتفقه طالب العلم؟ يعني هل يتفقه مباشرة وهو مبتدئ من الكتاب والسنة؟ لا يستطيع، تكليفه بمثل هذا؛ تضييع له، بل يتفقه على مذهب معين، وعلى كتاب معين من كتب أي مذهب من المذاهب المعتبرة الأربعة، وليس معنى هذا أنه يجعل هذا الكتاب دستوراً لا يحاد عنه مثل القرآن، لا، هذا من مؤلفات البشر، يبدأ بهذا المختصر، ويتصور المسائل إن حفظه بها ونعمت، وإن لم يحفظ يتصور هذه المسائل ويصورها، وينظر في شروح هذا الكتاب، وينظر في أدلة هذه المسائل، فهذه في العرضة الأولى، في العرضة الثانية ينظر من وافق المؤلف ومن خالفه، وينظر في أدلة الموافقين إن كان عندهم مزيد من الأدلة على ما عنده، وينظر في أدلة المخالفين، ويرجح حسب قواعد التعارض والترجيح عند أهل العلم، ثم يعمل بالراجح، إذا انتهى من هذا الكتاب في عرضته الأولى يكون عنده شيء من الفقه يعمل به، ويمشيه على هذا المذهب، وهو لا يزال مبتدئ مقلد، في العرضة الثانية والثالثة يبدأ بالاجتهاد، والأمر سهل ليس من الصعوبة كما يتصوره كثير من طلاب العلم.

هذا ما يتعلق بمذهبه الفرعي، وقد ولد في أسرة حنبلية، فجده المجد ابن تيمية -رحمه الله - صاحب المحرر، وهو من العُمَد في المذهب بحيث إذا اتفق مع الموفق سار هو المذهب عند المتوسطين، وأبوه أيضاً حنبلي وأخوه، وهكذا أسرته كلهم حنابلة، فتفقه على مذهب الحنابلة، ثم بعد ذلك اجتهد.

"**عن مذهبي وعقيدتي**" عرفنا أن عطف العقيدة على المذهب من خلال النظر في طبيعة هذه المنظومة، وأنه ليس فيها أحكام فرعية أن العقيدة هي المذهب، وهي مأخوذة من العقد والشد، وهي ما يعتقده

الإنسان بقلبه فيعقد عليه قلبه كما يُعقد المتاع بالحبل بحيث لا يتفلت ولا يضيع منه شيء فيضبطه ويعتقده بحزم وعزم وجد

"**عن مذهبي وعقيدتي** *** **رزق الهدى**" يدعو الناظم -رحمه الله تعالى - لمن يسأل عن الهداية.

.... **رزق الهـدى مـن للهدايـة يسـأل**

هذا لفظه لفظ الخبر، والمراد منه الدعاء، أن الله -جل وعلا- يرزقه الهدى، والدعاء يأتي بلفظ الأمر، ويأتي بلفظ الخبر، كما أنه يأتي بلفظ النهي، يأتي بلفظ الخبر كما تقول: غفر الله لك، رحمك الله، رضي الله عنه، "**رزق الهدى**" ويأتي الدعاء بلفظ الأمر: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، ويأتي بلفظ النهي: اللهم لا تؤاخذني، لا تعذبني... إلى آخره، فإذا جاء الدعاء بلفظ الخبر جاز اقترانه بالمشيئة، وإذا جاء بلفظ الأمر لا يجوز اقترانه بالمشيئة، لا يقول أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، لكن جاء عنه -عليه الصلاة والسلام-: ((طهور إن شاء الله)) يعني بلفظ الخبر، وجاء: ((ذهب الظمأ وثبت الأجر إن شاء الله)) دعاء بلفظ الخبر.

"**رزق الهدى**" الذي هو لزوم الصراط المستقيم والاستقامة على دين الله -جل وعلا-.

"**من للهداية يسأل**" لأنه مأمور بالسؤال، فإذا امتثل هذا الأمر وسأل أهل العلم عن ما يشكل عليه فإنه حينئذٍ يوفق للاستقامة، إذا سأل سؤال مسترشد طالب للحق لا متعنت، لا متعالم مظهر لعلمه؛ لأن بعض الناس يسأل وعنده الجواب، إما أن يريد إعنات المسئول، أو يريد إظهار ما عنده من علم، فمثل هذا لا يرزق الهدى في الغالب، ولا يرزق التوفيق ولا يوفق للعلم، أما من سأل سؤال طالب للهدى، وطالب لمعرفة الحق، فإن هذا يوفق؛ لأنه يمتثل ما أُمر به، ولذا جاء النهي عن الأغلوطات، يعني الأسئلة المحرجة التي تبين إما فضل السائل أو عجز المسئول، فمثل هذا منهي عنه، أما من يسأل للاستفادة هذا مطلوب.

وفي عهده -عليه الصلاة والسلام- جاء النهي عن السؤال: ((ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم)) فكثرة الأسئلة لا شك أنها توقع في عنت، لا سيما في وقت التنزيل؛ لأنه قد يسأل عن شيء مباح ثم يحرّم بسببه، أو يسأل عن شيء لا حكم له في الشرع إنما تستصحب فيه البراءة الأصلية ثم ينزل إيجابه، فلما سأل السائل عن الحج أكل عام يا رسول الله؟ سكت النبي -عليه الصلاة والسلام-، ثم قال: ((ذروني ما تركتكم)) لأنه لو قال: نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطاعوا فهلكوا، فالذي يسأل إن كان يريد الحق ليعمل به، هذا لا شك أنه يوفق ويثاب على ذلك، وإن كان يريد إعنات المسئول، أو إظهار ما عنده من علم مثل هذا يُحرم بركة العلم والعمل.

قد يسأل الشخص للاختبار، يسأل للامتحان، وهذا من وسائل التعليم، يسأل عن شيء يعرفه لا يريد بذلك إعنات المسئول، ولا إظهار علم السائل، وإنما يريد امتحان المسئول لينظر ما عنده من علم، والامتحان معروف عند أهل العلم، واختبار الإمام البخاري بقلب مائة حديث عليه في القصة المشهورة معروف، والمعلم يمتحن طلابه، وقد يلقي الدرس على طريق السؤال والجواب، وهذه طريقة ناجحة، طريقة التعليم على هيئة سؤال وجواب، والأصل فيها حديث جبريل -عليه السلام- لما سأل النبي -عليه الصلاة والسلام- الأسئلة الثلاثة المعروفة؛ لأن بعض الناس يقول: إن هذه الطريقة جاءتنا من وسائل التربية الحديثة الوافدة علينا، التعليم بطريقة

الحوار والسؤال والجواب هذه يقول: طريقة مستحدثة اكتسبناها من المربين، سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم، نقول: لا ، هذه طريقة شرعية.

.... **رزق الهـدى مـن للهدايـة يسـأل**

يسأل للدلالة على الحق، الذي يسأل للدلالة على الحق فقط؛ هذا يرزق الهدى فيهديه الله –جل وعلا – إلى صراطه المستقيم، ويلزمه هذا الصراط والاستقامة على الدين.

اسمع كلام محقق في قوله ....

(اسمع) أمر بالسمع، وهل المقصود السمع أو الاستماع؟ يعني هل المقصود اسمع وإلا استمع؟ نعم المقصود الاستماع، المراد هنا الاستماع، أما مجرد السمع فلا يكفي، والفرق بينهما أن السماع قد يكون عن غير قصد، فلا يستفيد السامع، وأما الاستماع المقصود للإفادة هذا هو الذي يفيد السامع، ولذا يقول أهل العلم: يسجد المستمع دون السامع، وقل مثل هذا بعكس هذا: يأثم المستمع دون السامع، كيف؟ إذا كان الكلام يعني بالمقابل فيه إثم، أغاني مثلاً أو موسيقى أو كلام بذيء أو فاحش الذي يستمع له يأثم، لكن الذي يسمعه وهو مار في الطريق، دائماً تسمعون بعض الناس في سيارته يشغل آلته على الأغاني مثلاً، أنت وش بيدك تقدر تمنعه وإلا ترده؟ أنت تسمع لا تستمع، لكن إن استمعت، وأعجبك وأطربك أثمت، لكن مجرد السماع لا يضرك –إن شاء الله تعالى – لا سيما مع الإنكار القلبي إن لم يتيسر الإنكار بالقول.

طيّب إذا كان الشخص في مجلس وفيه محرم إما غناء أو غيبة، أو ما أشبه ذلك وهو جالس، يقول: أنا لا أستمع له، أنا في معزل عنه، أنا أنشغل بقراءة كتاب معي، وهم في شأنهم، يكفي وإلا ما يكفي؟ لا بد أن تنكر، إن زال المنكر وإلا عليك أن تغادر المكان.

"**اسمع كلام محقق**" الكلام عند النحويين اللفظ المركب المفيد بالوضع، اللفظ: أي الملفوظ به، المركب من كلمتين فأكثر، المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، بالوضع العربي أو بالقصد على خلاف بينهم، وهو عند الفقهاء ما تركب من حرفين، ولو لم يفد عند الفقهاء يبطل الصلاة؛ لأنه كلام ولا يلزم أن يكون من كلمتين فأكثر كما يقول النحاة، وعلى كل حال الكلام له معاني كثيرة، لكن منها ما ذكرنا.

"**اسمع كلام محقق**" محقق متثبت معتمد على أصلٍ من كتابٍ أو سنةٍ، هذا هو التحقيق، فإذا قيل: فلان محقق معناه أنه يتثبت فيما يقول وفيما يكتب، ومعوَّله وعمدته على الكتاب والسنة.

محقق قد يقول قائل: هذه دعوى، ما الذي يشهد لها؟ نقول: يشهد لها واقع المنظومة ففيها تحقيق عقيدة السلف الصالح، ووصف عالم من العلماء بأنه المحقق، قال: فلان، قال: شيخنا الإمام المحقق، وأحياناً يقال: والتحقيق كذا، وصف العالم بالتحقيق لا شك أنها تحكي وجهة نظر الواصف، فقد تكون وجهة هذه النظر صحيحة لكون الموصوف ممن يعتمد على الكتاب والسنة، وقد تكون دعوى، وأحياناً إذا رُجِّح قول من قبل بعض أهل العلم، يريد أن يرجح هذا القول لأنه راجح عنده، يقول: اختاره كثير من المحققين، هذه مجرد دعم لكلامه ولما يُرجّحه، ولا شك أن هذا الوصف إنما يحكي وجهة نظر المتكلم، وقد يكون محققًا من وجهة نظره؛ لأنه يوافقه في مذهبه الأصلي أو الفرعي، فتجد الأشعري يصف الرازي بأنه محقق مثلاً، وتجد الحنفي يصف

إمام من أئمة الحنفية بأنه محقق، وتجد المالكي يصف فلان بأنه محقق، هذه كلها من وجهة نظر المتكلم، لكن هل تثبت هذه الدعوة عند التمحيص أو لا تثبت؟ هذا محل النظر، وكثير من الكتَّاب يدعمون أقوالهم بمثل هذا الكلام، وهي لا تؤثر على القارئ؛ لأن القارئ إن كان من أهل النظر فما يؤديه إليه اجتهاده هو التحقيق عنده، وافق قول هذا المحقق أو لم يوافقه، وعلى كل حال من يتثبت في أقواله وأفعاله محقق، من يعول على نصوص الوحيين محقق، أما من يخالف الكتاب والسنة مهما بلغ من المنزلة عند أتباعه فليس بمحقق.

اسمع كلام محقق في قوله ....

"**في قوله**" في المسائل العلمية، فيما يقوله، فيما يلفظ به، وفيما يكتبه، وفيما يعمل به، فالقول يطلق على ما هو أعم من اللفظ، فيطلق على اللفظ فيما إذا كان الكلام بالقول باللسان، ويطلق على الكتابة، كما أنه يطلق على الإشارة، ويطلق أيضاً على الفعل "فقال بيديه هكذا" فالقول أعم من أن يكون ملفوظاً به.

اسمع كلام محقق في قوله لا ينثني عنه ولا يتبدل

لا شك أن القول المبني على الكتاب والسنة يكتسب صفة الثبوت واللزوم وعدم التبدل والتبديل من ثبوت نصوص الكتاب والسنة "**لا ينثني عنه**" هذا يعتمد على الكتاب والسنة، والنصوص ثابتة، إذاً ما أخذ منها فهو ثابت، لا سيما في هذا الباب، باب الاعتقاد الذي اتفق عليه سلف هذه الأمة، هذا لا يحصل له تغيير ولا تبديل ولا تزعزع بإذن الله، اللهم إلا إذا كان الإنسان غير راسخ في هذا الباب، ويعرِّض نفسه للشبهات، فمثل هذا قد يطرأ عليه التغير والتبدل.

أما من رسخ في علمه، واطلع على نصوص الكتاب والسنة، وما اتفق عليه سلف هذه الأمة، فإنه لا يتزعزع ولا يتبدل ولا ينثني عن ذلك، وقلنا: إن بعض طلاب العلم حصل عندهم شيءٌ من الانثناء والتبدل، وذلكم لعدم رسوخهم في هذا الباب، وأيضاً لاستماعهم إلى الشبه، وفتح قلوبهم لها، فليحذر الإنسان كل الحذر أن تميل به الأهواء، ويسمع من فلان وفلان غير الثقات من أهل العلم، والآن المجال مفتوح لاستماع ما يقال عنه، كل وجهة نظر، والشبه الآن غزت البيوت، في بيوت عوام المسلمين، ونسمع أسئلة من عوام لا يقرؤون ولا يكتبون في أصول العقائد، وسبب ذلك كون الإنسان يستمع لكل ناعق.

والناظم يقول:

.... **لا ينثني عنه ولا يتبدل**

لأنه رسخت قدمه في هذا الباب، واستمع إلى الشبه وفندها، ولذا يقال لطالب العلم: لا تستمع لهذه الشبه، وأنت ما عندك حصانة من رسوخ قدم في العلم، لا تستمع لهذه الشبهة، فضلاً على أن تكون عامياً أو في حكم العامي، وإذا تأهل لاستماع هذه الشبه، وتفنيد هذه الشبهة لا شك أن الرد على هذه الشبه باب من أعظم أبواب الجهاد.

وقد انبرى شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى – إلى شبه المبتدعة وفندها، الرازي يورد في تفسيره شبه لمبتدعة أعظم منه بدعة، أما بدعه التي يصوغها بأساليب بحيث تغزو القلوب هذا واضح، لكن كونه يورد شبه ويسميها شبهة ويحاول الإجابة عنها تجده في إيراده للشبه يجليها ويوضحها بحيث يجعلها مثل الشمس، ثم يرد

عليها بردٍ ضعيف، فإذا التصقت وتمكنت من قلب القارئ ما وجد لها منازع، ولذا يحذر من قراءة تفسيره إلا لعالم متمكن راسخ لكي يرَد عليه.

يقول بعض أهل العلم: إنه يورد الشبه نقد، ويرد عليها نسيئة، وكتابه مشحون بهذه الشبه، وتفسير الزمخشري فيه أيضًا من البدع والشبه ما لا يستطيع رده كثير من أهل العلم فضلاً عن طلاب العلم، ووجد من أهل العلم –ولله الحمد – من يبين هذه الشبه وهذه البدع وتتبعوها بالمناقيش كما قالوا.

قال –رحمه الله – بعد ذلك:

حـب الصـحابة كلهـم لـي مـذهب ومـودة القربـى بهـا أتوسـل

حب الصحابة –رضوان الله عليهم – الذين نصر الله بهم الدين، وحملوه وبلغوه إلى من بعدهم، "**كلهم**" بدون استثناء ما دام ثبتت الصحبة يجب حبهم، وحبهم إيمان، وبغضهم نفاق، حب الصحابة إذا كان ثبت في الحديث أنه ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) أخيه من آحاد المسلمين، لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ فماذا عن من لهم المنة والفضل بعد الله –جل وعلا– ورسوله –عليه الصلاة والسلام– في تبليغنا الدين؟! أنت افترض أن أبا هريرة مثلاً ما وُجد، وقد روي عن طريقه نصف الدين، ماذا يكون وضعك؟ وماذا يكون حالك؟ وماذا يكون الحال بعد الصحابة لو لم يوجد مثل هذا الذي حمل لنا الدين؟ وقل مثله في بقية الصحابة –رضوان الله عليهم – الذين بلغونا هذا الدين، يبقى لنا دين لو لم يوجد هذا الجيل الذي تحمل الأمانة وبلغها امتثالاً لقوله –عليه الصلاة والسلام–: ((بلغوا عني ولو آية))؟! ((ليبلغ الشاهد منكم الغائب)) يعني لو لم يكن من الفضل إلا هذا، يعني كونهم نصروا الدين ونصروا النبي –عليه الصلاة والسلام–، وفدوه بأرواحهم ومهجهم، وبلغوه إلى شرق الأرض وغربها، وافتتحوا به الأقطار والأقاليم والأمصار، وانتشر الدين على أيديهم، إذًا حبهم مثل حب الإنسان العادي أو أكثر؟ لا أحد يقول: إن حب أبي هريرة مثل زيد من الناس أبداً، إلا إنسان لا يقيم لهذا الدين رأس، والنبي –عليه الصلاة والسلام – دعا لأبي هريرة أن يحب الخلق ويحبه الخلق، فصار محبوباً لدى الجميع، ولذا لا يبغضه إلا منافق، وتجد الحملات والقدح في أبي هريرة أكثر من غيره؛ لأن ليس المقصود ذات أبي هريرة، المقصود الدين والعلم الذي يحمله أبو هريرة، إذًا لماذا أبو هريرة على وجه الخصوص دون غيره؟ لأن القدح في أبي هريرة قدح في مروياته، والقدح في أكثر من خمسة آلاف حديث بسبب شخص واحد أيسر من القدح في مائة راوي يروون خمسة آلاف حديث، لذا لا تجدون من يقدح في المقلين من الصحابة، أبيض بن حمال ما وجد من المستشرقين يقدحون به، يروي حديث واحد، تحتاج إلى سنين من أجل أن تقدح بمقدار ما تقدح به من السنة إذا قدحت في أبي هريرة؛ فكونهم حملاتهم –أعني المستشرقين والمبتدعة– حملاتهم مسعورة على أبي هريرة على وجه الخصوص، لا لأنه أبو هريرة؛ بل لما يحمله من العلم والدين الذي بلغنا بواسطته، هذا هو السبب الذي يجعل أبا هريرة موضع لسهام الأعداء.

يقول: "**حب الصحابة**" الصحابة جمع صحابي، والصَحْبُ جمع صاحب، كركب جمع راكب، والصحابة جمع صحابي.

حبهم "**كلهم**" يعني بدون استثناء، والمراد بالصحابي: من رأى النبي –عليه الصلاة والسلام – مؤمناً به

ومات على ذلك، مات على الإيمان، مؤمنًا ليخرج بذلك المنافق الذي رأى النبي -عليه الصلاة والسلام-، وهو لا يؤمن به، والمراد بالإيمان الإيمان القلبي، وإلا الدعوة المجردة باللسان لا تنفع ولا تفيد، ولذا صار حكم المنافقين في الدرك الأسفل من النار -نسأل الله السلامة والعافية-، ولو شهدوا أن لا إله إلا الله مع الناس، ولو صلوا مع الناس، ولو حضروا مجالس النبي -عليه الصلاة والسلام-.

حـب الصـحابة كلهـم لـي مـذهب ....

قدم الناظم الصحابة من باب الاعتراف بحقهم وفضلهم، وقلنا: أن لو تصورنا إن الصحابة ما وجدوا، أو ما وجد منهم من يحمل هذا العلم والدين كيف يكون حال مَن بعدهم؟ إذا كانت الأمة بِأَمَسِّ الحاجة إلى العلم وإلى أهل العلم في أواخر عصورها، فكيف بمن كان الواسطة بين الأمة وبين نبيها -عليه الصلاة والسلام-؟، تصور نفسك في بلد ليس فيه من تستفتيه إذا أشكل عليك شيء، أقول: تصور نفسك في بلد ليس فيه من يُستفتَى وأشكل عليك مشكلة في دينك؟

ذكر الآجرّي في أخلاق العلماء مثالاً يمثل به الحاجة الماسة إلى أهل العلم، قال: إن العلماء بمثابة المصابيح، فإذا تصورت أن قوماً في ليلة مظلمة في وادٍ موحش كله أشجار وهوام وسباع وحيات، والليلة شديدة الظلمة، والناس يمشون على غير هدى، ولا يدرون هل يذهبون يمين أو شمال، ثم جاءهم من بيده مصباح وتقدمهم وتبعوه هل له فضل عليهم أو ليس له فضل عليهم؟ له فضل كبير عليهم؛ مع أنهم لو حصل لهم أسوأ الاحتمالات أكلتهم الوحوش ماذا خسروا؟ خسروا الدنيا، والعالم الذي يأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم بعد أن كانوا يتيهون في مفازات الضلال، فقدانه لا شك أنه يفوت عليهم الدين، وأولئك تفوتهم الدنيا، وهؤلاء يفوتهم الدين؛ فالحاجة إلى أهل العلم أشد من الحاجة إلى صاحب المصباح، هذا في العصور المتأخرة، وقد يكون غيره من أهل العلم من يقوم ببعض الشيء، فكيف إذا كان المفقود شخص واسطة بيننا وبين نبينا -عليه الصلاة والسلام- كأبي هريرة مثلاً؟ كيف يصل إلينا الدين عن طريق غيرهم؟ من هذه الحيثية جاءت محبتهم، ولذا قال -رحمه الله تعالى-:

حـب الصـحابة كلهـم لـي مـذهب ....

وانتدب طوائف من المبتدعة لعداء الصحابة وبغضهم وشتمهم وسبهم، بل وصلوا إلى تكفيرهم -نسأل الله السلامة والعافية-، وتكفير خيارهم بدلاً من أن يُحبَوا يذموا ويبغضوا ويشتموا ويسبوا، طيب أنت كفرت أبا هريرة من أين يصل إليك خمسة آلاف وثلاثمائة وسبعين حديث؟ إذا حرمت من الصراط المستقيم مالت بك الأهواء إلى الطرق المؤدية إلى الجحيم -نسأل الله السلامة والعافية-.

فانتدبوا إلى ذمهم وسبهم وتكفيرهم، والذي يغلب على الظن أن المراد بذلك كله -وإن أظهروا ما أظهروا- القدح في الدين نفسه، ولذا الإمام مالك -رحمه الله تعالى- في آخر آية من سورة الفتح: **{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}** إلى أن قال: **{لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}** [(29) سورة الفتح] فالذي يغيظه صحابة محمد -صلى الله عليه وسلم- ماذا يكون؟ استدلالاً بهذه الآية، فذهب الإمام مالك إلى تكفير من يغيظه الصحابة.

وشيخ الإسلام استدل بقوله -جل وعلا-: **{وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...}** [(10) سورة الحشر] بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار قال: **{وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}** أن هذا الذي لا يترضى عن المهاجرين والأنصار أنه ليس له نصيب في الخُمس؛ ليس له نصيب في الخُمس، فالأمر خطير، فعلى الإنسان أن يتولى الصحابة، وأن يترضى عنهم، ويعرف لهم منازلهم وأقدارهم ومراتبهم، فأفضلهم على الإطلاق أبو بكر، وهو خير هذه الأمة بعد نبيها -عليه الصلاة والسلام-، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي -رضي الله تعالى عن الجميع-، ثم بقية العشرة:

سـعيد وسـعد وابـن عـوف وطلحـة ... وعامر فهر والزبير الممدحُ

هؤلاء العشرة هم أفضل الصحابة، ثم بعد ذلك أهل بدر، وأهل الحديبية، والمهاجرون الأولون السابقون لهم فضل وسابقة، ثم بقية الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-.

ومن الصحابة العشرة الذين ذكرناهم، ومنهم أزواجه -عليه الصلاة والسلام-، يدخلون في صحابته كما أنهم يدخلون في أهله وآله -عليه الصلاة والسلام-.

أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم علي، ثم بقية العشرة، ابن حزم له رأي في المسألة يقول: إن زوجات النبي -عليه الصلاة والسلام - أفضل من أبي بكر وعمر، دليله: أنهن -رضوان الله عليهن- معه في المنزلة في الجنة، يعني منزلة أبي بكر دون منزلة النبي -عليه الصلاة والسلام- في الجنة، وأزواجه -عليه الصلاة والسلام- معه في المنزلة، فدل على أنهن أفضل من أبي بكر وعمر فضلاً عن بقية العشرة، فضلاً عن بقية الصحابة، الاستدلال صحيح وإلا غير صحيح؟

طالب:.........

نعم، غير صحيح، لماذا؟

طالب:........

نعم؟

طالب:.........

والشهداء والصالحين، أنا أقول: استدلاله صحيح وإلا غير صحيح؟ نقول: غير صحيح، لماذا؟

طالب:.........

نعم؟

طالب:........

إذاً يلزم عليه تفضيلهن على سائر الأنبياء.

طالب:........

نعم؟

طالب:.........

نعم والولدان وغيرهم، نعم؟

طالب:........

أنت؟

طالب:........

أنا الآن أناقش حجته، حجته يقول: هن فوق أبي بكر وعمر في المنزلة في الجنة فهن خير، أفضل، أقول: يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً.

لو نظرنا إلى حياتنا العادية، نعم، تجد شخص ثري متنعم في دنياه موسع على نفسه، وشخص دونه في المنزلة، شخص عنده مائة مليون، وشخص عنده خمسين مليون، أو عشرة ملايين، هذا متنعم بنعيم يليق بنعيم الدنيا، ومتوسع فتجد الخادم عند هذا المتنعم أفضل حالاً من كثير من الأثرياء، تجد هذا السائق مثلاً، أو الخادم يسكن في ملحق عند هذا الثري، هذا الملحق خير من بيوت كثير من الأغنياء، هل نقول: إن هذا الخادم أفضل من هؤلاء الأغنياء؟ يتنعم بأفخم المساكن والسيارات والملابس والمطاعم والمشارب، وما أشبه ذلك من متع الدنيا، وهو خادم عند هذا الثري، دونه في الثراء طبقة ثانية يتنعمون لكنهم أقل، فهذا الخادم هل نقول: إنه أفضل من هؤلاء الأغنياء؟ ما يقول هذا عاقل أبداً؛ لأنه ما وصل إلى هذه المنزلة بذاته، إنما وصلها بغيره، يعني ما تلاحظون أن ملاحق بعض الناس أفضل من بيوت كثير من الناس موجود، وفي شخص عمر قصور، وفيها ملاحق الملاحق كلفت الملايين، بل عشرات الملايين، فقيل له لما نظرها بعض الناس: هذا مكانه غير لائق لو نقلته إلى هناك، ففوراً هدمها ونقلها إلى مكان آخر.

فمثل هذا السائق عند هذا الشخص أو هذا الخادم نقول: هل هذا أفضل من بقية الأغنياء الذين هم دون منزلة هذا؟ لا، الشيء الذي يثبت للإنسان على طريق التبعية لا يحكم له به على جهة الاستقلال، نعم؟

طالب:.......

يلزم هذا، يلزمه، هذا من لازم قوله مثل هذا الكلام أن زوجة العالم الأفضل فوق العالم الذي هو أدنى منه؛ لأنها معه في المنزلة، **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** - يعني في نفس المنزلة - **وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ}** [(21) سورة الطور] المقصود أن هذا قول مردود مرذول لا يلتفت إليه.

حـب الصــحابة كلهــم لــي مــذهب ومـودة القربـى بهـا أتوسـل

{قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [(23) سورة الشورى] والمودة: خالص المحبة، والمراد بذوي القربى آله -عليه الصلاة والسلام-، ويدخل فيهم دخولاً أولياً ذريته وأزواجه فهم ذوو القربى **{لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ}** [(33) سورة الأحزاب] والمراد بذلك السياق في نساء النبي -عليه الصلاة والسلام-، فنساؤه من أهل بيته بالنص، فلا مجال لمحبة الآل وإخراج النساء، يعني من التناقض أن يدعي مدعي أنه يوالي أهل البيت، ويبغض بعض نساء النبي -عليه الصلاة والسلام-، الذين دخلوهن في أهل البيت دخول أولي، والقربى كما تطلق على القرابة من حيث النسب، تطلق أيضاً بالنسبة للقرابة الحسية، فأزواجه -عليه الصلاة والسلام- أقرب الناس إليه لمعاشرته إياهم، واختلاطه بهم.

فـ"**مودة القربى بها أتوسل**" والناظم -رحمه الله وتعالى - جمع بين الصحب والآل الذين هم ذوي القربى

للرد على طائفتين من طوائف المبتدعة؛ فالشطر الأول رد على الروافض الذين يبغضون الصحابة ويكفرونهم، والشطر الثاني رد على النواصب الذين ينصبون العداء لأهل البيت.

يقول: "**بها أتوسل**" التوسل: التقرب إلى الله –جل وعلا–، فنحن نتقرب إلى الله –جل وعلا – بحب الصحابة ومودة ذي القربى، فلا بد من الجمع بين الأمرين.

والتوسل: منه الممنوع ومنه المشروع، فالتوسل بذواتهم ممنوع، والتوسل بمحبتهم مشروع؛ لأنه دين قربة إلى الله –جل وعلا – والتقرب إلى الله –جل وعلا– والتوسل إليه بالعبادة بعبادة الإنسان، ومنها محبة الصحابة ومودة ذوي القربة مشروعة، ولذا في حديث أصحاب الغار الثلاثة توسلوا بأعمالهم الصالحة، وسيق الخبر مساق المدح؛ فالتوسل بالأعمال الصالحة مشروع بخلاف التوسل بالذوات فهو ممنوع.

جمع الناظم بين الصحب والآل، وهذا يقودنا إلى شيء، وهو أن الإنسان إذا صلى على النبي –عليه الصلاة والسلام– امتثالاً لقول الله –جل وعلا–: **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [(56) سورة الأحزاب] إن اقتصر على ذلك امتثل الأمر، إذا قال: صلى الله عليه وسلم امتثل الأمر، لكن إن عطف عليه فينبغي أن يعطف عليه الصحب والآل، فيقول: وعلى آله وصحبه، وبهذا يتم رده على الطوائف المبتدعة، لا أولئك الذين يبغضون الصحابة ولا الطرف الثاني الذين يبغضون وينصبون العداء لآل البيت، فإذا عطف على النبي –عليه الصلاة والسلام– فليعطف عليه الآل لما لهم من حق؛ ولأنهم وصية النبي –عليه الصلاة والسلام–، وللصحب لما لهم علينا من فضل بتبليغ الدين وإيصاله إلينا كما أنزل.

بعضهم يقول: إننا نقتصر على الآل؛ لأنهم هم المأمور بهم، وهم الواردون في الصلاة الإبراهيمية في التشهد ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد)) وانتصر لهذا الصنعاني والشوكاني وصديق حسن خان، وبسبب ذلك طعنوا في أئمة الإسلام، الذين يقتصرون بالصلاة على النبي –عليه الصلاة والسلام–.

في الصحيح: "عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك إذا صلينا في صلاتنا؟ قال: ((قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد)) فالصلاة على الآل مأمور بها، وأئمة الإسلام قاطبة في كتبهم إذا مر ذكره –عليه الصلاة والسلام– قالوا: صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إن هؤلاء العلماء الذين لا يصلون على الآل امتثالاً لهذا الحديث في كتبهم هؤلاء كلهم يدارون الولاة، يعني داهنوا الولاة، فحذفوا ما أوجب الله عليهم مداهنة للولاة، والولاة في عهد الأئمة من الآل من بني العباس يعني، ما هم من بني أمية ولا من غيرهم، وكيف يظن بالأئمة المداهنة وقد نذروا أنفسهم وقدموها خدمة لدينهم، وفدوا دينهم، وفدوا نبيهم بأنفسهم؟! كيف يقال: إنهم داهنوا الولاة وداروهم وحذفوا الصلاة على الآل مداهنة للولاة؟! وهذا لا شك أنه طعن في كثير من أئمة الإسلام.

والصلاة الإبراهيمية فرد من أفراد الصلاة المأمور بها في قوله تعالى: **{صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [(56) سورة الأحزاب] وهو فرد في موضع خاص "إذا صلينا عليك في صلاتنا" فتصلي الصلاة الإبراهيمية، وتقتصر على الآل، ولا يجوز أن تعطف الصحب عليهم، كما أنه لا يجوز لك أن تقول: اللهم صل على سيدنا، وهو سيد ولد آدم ولا فخر؛ لأن هذه ألفاظ متعبد بها لا تجوز الزيادة عليها، ولا النقص منها، أما إذا صليت خارج الصلاة فالامتثال يتم بقولك: صلى الله عليه وسلم؛ امتثالا للآية، وامتثالاً للنصوص الواردة عنه –عليه

الصلاة والسلام- في الصلاة عليه، أما إذا عطفت عليه فلتعطف من له حق عليك، وإذا كان ذوي القربى والآل لهم حق عظيم علينا، وهم وصية النبي -عليه الصلاة والسلام- فالصحب أيضاً لهم شأن عظيم في تبليغنا الدين، ولهم حق علينا، إذ لولاهم ما وصلنا هذا الدين كما أنزل.

يقول:

ولكلهـــم قـــدرٌ عـــلا وفضـــائل ....

"**ولكلهم**" يعني لجميع الصحابة، والجميع ذوي الآل، والمقصود بذوي الآل الذين هم على الجادة، الصحابة كلهم على الجادة من غير استثناء، كلهم عدول، ونطق القرآن والسنة بعدالتهم، لكن ممن ينتسب إليه -صلى الله عليه وسلم- ممن تأخرت به الحياة، يعني من الأئمة من الآل علي -رضي الله تعالى عنه- إمام هدى، خليفة راشد، الحسن والحسين، زين العابدين علي بن الحسين من أئمة الهدى، محمد بن علي الباقر ثقة من ثقات المسلمين، ومخرج له في دواوين الإسلام، فهو ثقة، جعفر بن محمد أيضاً مخرج له في الصحاح، لكن جاء بعدهم ممن ينتسب إلى الآل ممن خالف سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فما نقول: هؤلاء لكلهم، لا شك إن من هو على الجادة له قدر، وله فضل، وله حق علينا، أما من حاد عنها فالرجال إنما يعرفون بالحق، والحق لا يعرف بالرجال كما هو مقرر عند أهل العلم.

"**ولكلهم قدر**" منزلة عالية رفيعة "**قدر علا وفضائل**" في بعض النسخ: "ولكلهم قدر وفضل ساطع" وهنا: "**علا وفضائل**" لهم فضائل، ولهم مناقب مدونة في كتب التراجم المبسوطة، ومن خير ما ألف، وأفضل ما ألف في مناقب العشرة (الرياض النضرة) للمحب الطبري، وليس لابن جرير محمد بن جرير المفسر المعروف، كما قال بعضهم، هو المحب الطبري صاحب: (القِرَىْ لقاصد أم القرى) وله كتب أخرى.

"**علا وفضائل**" والنسخة الأخرى: "وفضل ساطع" نعم لهم فضائل، ولهم مناقب تحفظ لهم.

.... لكنما الصديق منهم أفضل

"**لكنما الصديق**" لكن هذا حرف الاستدراك المعروف الذي ينصب ما بعده من كأن، لكنها مكفوفة بـ(ما) لكنما (ما) هذه كافة، ولكنما مكفوفة، ولذا جاء الصديق مرفوعاً ليس بمنصوبٍ.

.... لكنما الصديق منهم أفضل

يعني من الصحابة، من جلتهم، بل هو أجلهم على الإطلاق، أفضل منهم دون منازع، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

لمعالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:		المكان:	لم يذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح لامية شيخ الإسلام (2)

الشيخ: عبد الكريم الخضير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله.

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قال الحافظ -رحمه الله ونفعنا الله بعلمه-:

وأقول في القرآن ما جاءت به ... آياته فهو الكريم المنزَلُ
وأقول: قال الله -جل جلاله- ... والمصطفى الهادي ولا أتأولُ
وجميع آيات الصفات أمرها ... حقاً كما نقل الطراز الأولُ
وأرد عهدتها إلى نقالها ... وأصونها عن كل ما يتخيلُ
قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه ... وإذا استدل يقول: قال الأخطلُ
والمؤمنون يرون حقاً ربهم ... وإلى السماء بغير كيف ينزلُ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فيقول المؤلف -رحمه الله تعالى- الناظم -رحمة الله عليه- سواء كان شيخ الإسلام إن ثبتت هذه المنظومة عليه، أو غير شيخ الإسلام، فما فيها فهو حق، والحق والحكمة ضالة المؤمن، سواء كانت لشيخ الإسلام ولا نتعصب لأحد، فما دام الكلام حقًّا فيعتنى به، ولو لم يكن لشيخ الإسلام.

في البيت الخامس يقول -رحمه الله-:

وأقول في القرآن ما جاءت به ... آياته فهو الكريم المنزَلُ

"**وأقول في القرآن**" يعني أعتقد، وقولي وعقيدتي ومذهبي في القرآن ما جاءت به آياته، من أنه كلام الله -جل وعلا-، المنزل على نبيه -عليه الصلاة والسلام-، بواسطة جبريل -عليه السلام-، أنزل أو نزِّل في ليلة القدر من رمضان، والعلماء يختلفون في هذا التنزيل، هل هو إنزاله جملة كما ثبت عن ابن عباس في هذه الليلة إلى السماء الدنيا، أو بداية التنزيل في رمضان، ثم أنزل باقيه مفرقاً منجماً في ثلاث وعشرين سنة، التي هي عمر الرسالة من البعثة إلى وفاته -عليه الصلاة والسلام-، فعرف عن ابن عباس أن القرآن أنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم بعد ذلك ينزل جبريل به إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- مفرقاً منجماً على حسب الوقائع، وعلى حسب الأسباب الداعية إلى التنزيل في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة، ومنهم من يقول: إن بداية التنزيل إنما كانت في رمضان، ثم بعد ذلك ينزل منه ما يحتاج إليه، وينبعث السبب الداعي إليه في المناسبات وفي الوقائع، فنزوله منجمًا على هذه الكيفية.

وأقـول فــي القـرآن مــا جــاءت بـــه آياتـــه.............................

وهو كلام الله –جل وعلا–، منه بدأ، وإليه يعود، فالقرآن كلام الله، وكلامه المسموع منه –جل وعلا– بحرف وصوت، كما يقرر ذلك أهل السنة والجماعة، على ضوء ما جاءت به الأدلة الكثيرة، فالنداء لا يكون إلا بصوت، والكلام لا يكون إلا بحرف، فكلامه –جل وعلا– مسموع بصوت وحرف، سمعه جبريل، ثم بلغه من شاء من عباده من أنبيائه ورسله –عليهم الصلاة والسلام–.

"**منه بدأ**" من الله –جل وعلا– بدأ، وهو الذي تكلم به، وإليه يعود في آخر الزمان، يرفع القرآن من صدور الرجال، ومن المصاحف أيضاً، فينام الرجل النومة فإذا أصبح فإذا ليس في جوفه شيء من القرآن، وإذا فتح الناس المصاحف للقراءة ما وجدوه، وقد يعاقب الإنسان، وهذا الكلام إنما يكون في آخر الزمان، لكنه قبل ذلك قد يعاقب الإنسان فينسى ما حفظه من القرآن، أو يُنسى ما حفظه من القرآن بسبب ذنب أصابه، وذكر عن بعض من تقدم شيء من ذلك، وقد يكون الذنب حائلاً بينه وبين حفظ القرآن، كما أن الذنوب تحول بين أصحابها وبين أبواب الخير، كقيام الليل مثلاً، وصيام الهواجر، كذلك تكون سبباً في رفع ما حصل عليه من خير.

وعلى كل حال رفعه إنما يكون جملة، إنما يكون في آخر الزمان؛ ولهذا يقول أهل العلم: منه بدأ، وإليه يعود.

"**ما جاءت به آياته**" فالآيات المدونة في المصاحف، والمحفوظة في الصدور، والمتلوة والمسموعة هي كلام الله –جل وعلا–، وهي عبارة عن شيء واحد هو القرآن، ولا نقول: إن المتلو غير المحفوظ، والمسموع غير المقروء، لا، كشيء واحد، كما قال ابن حزم: إننا لدينا الآن أربعة قرآنات، ليس بقرآن واحد ولا اثنين ولا ثلاثة، أربعة قرآنات، وهذا لا شك أنه كلام باطل، وإنما القرآن وكلام الله هو شيء واحد، القرآن الموجود بين الدفتين، وهو المحفوظ في الصدور، له أول، وله آخر، يفتتح بالفاتحة، ويختم بالناس، يعني محفوظ ومضبوط، وسالم من الزيادة والنقصان **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [(9) سورة الحجر] فمن ادعى أن شيئاً من القرآن زائد أو ناقص لا إشكال في كفره وردته؛ لأن الأمة أجمعت على أن القرآن محفوظ، كما هو نص القرآن، والذي يزعم أن هناك زيادة أو نقصان مكذب للنص القطعي **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [(9) سورة الحجر].

وذكر الحافظ البيهقي –رحمه الله تعالى– أن يهوديًّا دعاه يحيى بن أكثم إلى الإسلام فلم يسلم، وبعد سنة كاملة أتى إلى يحيى بن أكثم فأعلن إسلامه، فسأله عن السبب، فقال: إنه نسخ نسخًا من التوراة، وزاد فيها ونقص وحرف وقدم وأخر، ثم ذهب بها إلى سوق الوراقين من اليهود فتخطفوها من يده، وباشروا قراءتها، والعمل بها، وهي محرفة، ثم عمد إلى الإنجيل فصنع فيه مثل ذلك، وذهب به إلى سوق النصارى فاشتروها منه، ولم يترددوا في ذلك، وباشروا قراءتها، والعمل بها، ثم عمد إلى القرآن، فقدم وأخر بشيء يسير لا يكاد يطلع عليه إلا الفرد من الناس، ثم ذهب به إلى سوق الوراقين بين المسلمين، وعرض النسخ عليهم، فكل من رأى نسخة رماها في وجهه، وقال: إنه محرف، فعلمت أن الدين حق، وأن هذا الكتاب محفوظ فأسلمت، فتعجب يحيى بن أكثم، فلما حج اجتمع بسفيان بن عيينة وذكر له القصة، يقول هذا الكلام موجود في كتابه، قال في كتب من قبلهم

{بِمَا اسْتُحْفِظُواْ} [(44) سورة المائدة] يعني وكل الحفظ إليهم فلم يحفظوا، وكتابنا تولى الله حفظه فتم ذلك، ولا يستطيع أحد أن يزيد أو ينقص ويكتشف فوراً، يكتشف، يعني في مراجعات طباعة المصحف، يعني وهذا من حفظ الله -جل وعلا- لدينه، وحفظه لكتابه، قالوا: في المراجعة رقم مائة وأربعين وجدوا أن شكلاً من الأشكال، شكل يعني شكل الضمتين أحياناً أو الفتحتين يختلف وضعها من حرف إلى آخر، فوجد شكل مخالف لنظائره في المراجعة مائة وأربعين، وهذا من تمام حفظ الله -جل وعلا- لكتابه، والعين تنفر من رؤية المخالف، وعلى كل حال هذا أمر معروف ومقرر، والقرآن مصون من الزيادة والنقصان بإجماع الأمة، بإجماع علماء المسلمين.

بعضهم يقول: إن من حفظ القرآن حفظ السنة، ولذا أنكر أن يكون في السنة شيء موضوع مكذوب على النبي -عليه الصلاة والسلام-، ولا شك أن هذا يرده الواقع؛ فالمبتدعة والزنادقة الذين يريدون إفساد الدين والمتعصبة للمذاهب، والمتكسبة والمرتزقة وجهال بعض العباد والمتصوفة وقع منهم الوضع في الحديث النبوي.

وذكر الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في اختصار علوم الحديث أن بعض المتكلمين قال: إنه لا يوجد موضوع في السنة، واستدل بالآية، والنبي -عليه الصلاة والسلام- لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ما دام الأمر كذلك فالحكم واحد في القرآن والسنة، قال: لا يوجد حديث موضوع، فانبرى له شخص، ويقال: إنه صبي -والله أعلم بحقيقة هذه القصة-، فقال له: ما رأيك في حديث: ((سيكذب علي))؟ إيش رأيك في حديث: ((سيكذب علي))؟ ماذا يكون الجواب؟ هو يبي يقول: صحيح وإلا مكذوب؟ الرد حاصل حاصل، سواء صحح أو أبطل، سواء حكم عليه بالصحة أو حكم عليه بالوضع، الرد حاصل حاصل، فإن قال: صحيح، طيب كيف يرد؟ الرسول يقول: سيكذب علي؟ وأنت تقول: لا، ما يمكن يكذب عليه، وإن قال: باطل، يقول: هاه الآن كذب عليه.

ولا شك أن هذا من الأجوبة المسكتة، وبعضهم يشكك في حصول مثل هذا، ومثل هذا يعني يمكن أن يذكر في هذا المجال، ولو لم يثبت، ويش المانع؟ يعني أن تفترض أن شخص قال هذا الكلام، فأجيب عليه بمثل هذا الجواب، ويمكن أن يقع، وإلا من أهل العلم ما شكك في مثل هذا.

وأنا أقول: إن الذي لا يعنى بنوع من أنواع العلوم، لا تكون له به أدنى عناية يحصل منه مثل هذا، فهذا المتكلم الذي نسبت إليه هذه القصة لا عناية له بالسنة، ولا يدري ما السنة، كما إنه وجد من لا يعرف معنى الموضوع ممن ينتسب للعلم في بعض فروعه، أنكر على الحافظ العراقي رحمه الله أن يكون حديثًا موضوعًا؛ لأنه سئل عن حديث فقال: لا أصل له، هذا حديث مكذوب على النبي -عليه الصلاة والسلام-، فانبرى له شخص من العجم وقال: كيف تقول مكذوب وهو موجود في كتب السنة بالإسناد؟ فقال: احضره فأحضره من موضوعات ابن الجوزي، يعني يحصل مثل هذا الغفلة يحصل من هذا الجهل المركب، يحصل، ولذا ينبغي أن يكون طالب العلم يعني عنده نوع من الشمول والتفنن والأخذ من كل علم يخدم نصوص الوحيين بكفايته.

يعني قبيح بطالب القرآن أن لا يعرف السنة ولا علوم السنة، كما أن قبيح بطالب السنة أن لا يعرف ما يتعلق بكتاب الله -جل وعلا-، ويحتاج مع ذلك إلى ما يخدم نصوص الوحيين ويعينه على فهمهما.

المقصود أن القرآن كلام الله -جل وعلا-، في قول أهل السنة قاطبة، وهو قول سلف هذه الأمة وأئمتها، أنه كلام صدر من الله -جل وعلا- بصوت وحرف سمعه جبريل، وسمعه موسى، وسمعه محمد -عليه الصلاة

والسلام– ليلة الإسراء.

"**منه بدأ وإليه يعود**" نطق به –جل وعلا– على الكيفية التي لا نعلمها، والمعتزلة رأيهم في كلام الله –جل وعلا– أنه مخلوق، خلقه في الهوى، أو خلقه في ذات جبريل، أو في ذات محمد –عليه الصلاة والسلام–، وحينما نادى موسى من الشجرة خلق الكلام في الشجرة، فالشجرة هي التي نادت موسى، عندهم حقيقة هي التي نادت موسى وقالت: إني أنا ربك، وحينئذٍ لا فرق بين قول الشجرة: أنا ربك، وبين قول فرعون: "أنا ربكم الأعلى" فيه فرق وإلا ما في فرق؟ ما فيه فرق؛ لأن المعتزلي يمكن أن يقول: كلام فرعون صحيح "أنا ربكم الأعلى" لأن الله –جل وعلا– خلق فيه هذا الكلام، ما المانع أن يقال مثل هذا؟ فقول المعتزلة وهو القول بخلق القرآن باطل، وكفر جمع من الأئمة من يقول به؛ لأنه يلزم عليه إبطال الشرائع.

والأشاعرة يقولون بالكلام النفسي، وأن كلام الله –جل وعلا– واحد تكلم في الأزل، ولا يتكلم بعد ذلك، والمعتمد عند أهل السنة أن كلام الله –جل وعلا– قديم النوع، متجدد حادث الآحاد، فهو معلق بالمشيئة، يتكلم متى شاء وإذا شاء وكيف شاء.

وأقـول فـي القـرآن مـا جـاءت بـه آياتـــه.............................

وما جاء في الآيات عند الأشعرية عبارة عن كلام الله –جل وعلا–، وليس هو كلام الله حقيقة، وإنما كلامه ما في نفسه –جل وعلا–، ويوافقهم الماتريدية إلا أنهم يقولون: حكاية عن كلام الله –جل وعلا–، نسمع في كلام بعض العلماء وطلاب العلم في مؤلفاتهم أو في كلامهم ومواعظهم يقولون: قال الله –جل وعلا– حكاية عن فرعون، أو قال –جل وعلا– حكاية عن كذا، فهل هذا فيه تأثر بمذهب الماتريدية والأشاعرة؟ هو نسب القول إلى الله –جل وعلا–، المبتدع يقول: حكاية عن كلام الله، وهذا يقول: هو كلام الله يحكيه على لسان فلان، إذا نظرنا في أصل المسألة وجدنا أنها لا إشكال فيها إلا من جهة المشابهة في اللفظ، أولئك يقولون: حكاية عن كلام الله، وهؤلاء يقولون: حكاية عن كذا، فلفظ الحكاية ينبغي أن يتقى؛ لأنه يوقع في لبس، ويظن بالقائل أنه يوافق المبتدعة، وفرق بين شخص عرف عنه أنه على مذهب أهل السنة والجماعة، فيقبل منه هذا الكلام؛ لأنه لا يظن به أنه يعتقد قول المبتدعة، ويمكن حمل كلامه على وجه صحيح، بينما لو كان الشخص من المبتدعة، من الماتريدية أو الأشعرية قلنا: لا يا أخي، لا، لا، لا تقل مثل هذا الكلام.

أقول: ونظير ذلك بعض الشراح أو أكثر الشراح حينما يأتون إلى قول النبي –عليه الصلاة والسلام–: ((والذي نفسي بيده)) يقولون: روحي في تصرفه، إذا كان هذا الشارح ممن ينفي الصفات عن الله –جل وعلا– بما في ذلك اليد، قلنا: كلامك باطل؛ لأنك قلت مثل الكلام للفرار عن إثبات اليد لله –جل وعلا–، وإذا كان عرف بأنه يثبت اليد لله –جل وعلا– على ما يليق بجلاله وعظمته، وقال معنى: ((والذي نفسي بيده)) روحي في تصرفه كلام صحيح، ما في روح ليست في تصرف الله –جل وعلا–، لكن إن كان قال ذلك متذرعاً هارباً عن إثبات الصفة لله –جل وعلا–، فلا شك أن مثل هذا يرد عليه، وعلى كل حال النص في إثبات اليد لله –جل وعلا– على ما لا يليق بجلاله وعظمته ولازمه ومعروف.

وأقـول فـي القـرآن مـا جـاءت بـه آياتـه فهـو القـديم المنـزلُ

في بعض النسخ: (الكريم) وفي بعضها: (العظيم) ولا شك أن القرآن كريم، كما دل على ذلك القرآن، وعظيم أيضاً، أما القديم فلفظ أنكره شيخ الإسلام، قد يثبته على سبيل التنزل في الرد على بعض الخصوم مقروناً بالأزلي، القديم الأزلي، يعني المتناهي في القدم، وإلا القديم المفرد بدون الوصف بكونه أزلي فلم يرد في النص، في نص يعتمد عليه، وهو أيضاً لا يدل على التناهي والأولية، الله -جل وعلا- هو الأول فليس قبله شيء، ولا يقال: قديم، لماذا؟ لأن الحداثة والقدم أمور نسبية، فلو قدر أنك اشتريت آلة من الآلات إما سيارة وإما قلم أو نعل، أو ثوب، اشتريته العام الماضي، وفي هذه السنة اشتريت آخر فتأمر ولدك: ائتني بالقلم القديم، أو ائتني بالقلم الجديد، ما اشتريته في العام الماضي هو القديم، وما اشتريته في هذه السنة هو الجديد، فهل مثل هذا يمكن أن ينسب الرب، أو ما يتعلق به من كلامه بمثله؟ لا يمكن؛ لأنه قدم نسبي، لأنه قد يوجد ما هو أقدم منه، إنما هو قديم بالنسبة لما حصل بعده.

"**فهو القديم المنزل**" على نبيه -عليه الصلاة والسلام-.

وأقول: قال الله جل جلاله   والمصطفى الهادي ولا أتأولُ

يعني: أعتقد ما جاء على الله -جل وعلا-، وعن نبيه -عليه الصلاة والسلام- مما يتعلق بالله -جل وعلا- من أسماء أو صفات أو أفعال على ما يليق بجلاله وعظمته، فلا أتأول، يعني أعتقد ما جاء عن الله وعن رسوله -عليه الصلاة والسلام- ولا أتأول ذلك، بل أُمرّه كما جاء على ما سيأتي **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [(5) سورة طه] استوى، فلا أتأول، أترك الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، هذا هو التأويل عند المتأخرين، وقد يطلق التأويل على التفسير، وهذا كثير في كلام أهل العلم، وفي تفسير الطبري من أوله إلى آخره: القول في تأويل قول الله -جل وعز- كذا، في تأويل: يعني في تفسير؛ فالتأويل يطلق ويراد به صرف اللفظ عن احتمال الراجح إلى احتمال المرجوح، وهذا ما عليه أهل الكلام، والتأويل على القول الثاني هو التفسير، يطلق بإزاء التفسير، ويطلق بإزاء ما يؤول إليه الأمر، ومنه تأويل الرؤيا.

وأقول: قال الله جل جلاله   والمصطفى الهادي ولا أتأولُ

في بعض النسخ: (للمصطفى) أقول ما قال الله -جل وعلا- للمصطفى، يعني ما أنزله على نبيه -عليه الصلاة والسلام-، سواء كان من الوحي المتلو بألفاظه وحروفه، أو كان مما حدث به -عليه الصلاة والسلام-.

"**ولا أتأول ** وجميع آيات الصفات أمرها**" سواء كانت الصفات ذاتية أو فعلية على ما يليق بجلال الله وعظمته، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله -عليه الصلاة والسلام- على ما يليق بجلاله وعظمته، فلا يشبهونه بخلقه **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [(11) سورة الشورى] ولا ينفون عنه ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال؛ لأن الله -جل وعلا- يقول بعد النفي **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** أثبت **{وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}** [(11) سورة الشورى] فيجمعون بين نفي ما نفاه الله -جل وعلا- عن نفسه، والنفي غالباً ما يكون مجملاً، ويثبتون ما أثبته لنفسه، والإثبات غالباً ما يكون مفصلاً.

وجميع آيات الصفات أمرها   ....

والمبتدعة منهم من ينفي الأسماء والصفات، وهؤلاء هم الجهمية، ومنهم ما يثبت الأسماء وينفي جميع الصفات، وهؤلاء هم المعتزلة، ومنهم من يثبت الأسماء ويثبت بعض الصفات سبع مثلاً، وينفي ما عداها كالأشعرية، والمبتدعة وأقوالهم كثيرة جداً لا يتسع المقام لبسطها.

وجميع آيات الصفات أمرها حقاً...............................

أمرها كما جاءت، وجاء عن جمع من سلف هذه الأمة بهذا اللفظ: "أمروها كما جاءت" تمر كما جاءت، "**حقاً كما نقل الطراز الأولُ**" تمر كما جاءت؛ لأن عندنا التشبيه وهو أن يقال: يد كيد المخلوق، نزول كنزول المخلوق مثلاً هذا تشبيه، وهناك تعطيل بأن يقال: لا يد ولا نزول من غير تأويل، وهناك من يتأول، ومآله إلى التعطيل، الذي يأول اليد بالنعمة مثلاً هو لا يثبت اليد يثبت النعمة لا يثبت اليد، متى تأول الصفة بغيرها فقد عطل الصفة، لكن فرق بين من يعطل عنادًا يقول: لا يد لئلا يشبه المخلوق بالخالق **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [(11) سورة الشورى] والذي يتأول مع أن مآله إلى التعطيل فيقول: اليد جاءت في كلام العرب يراد بها النعمة، لا شك أنه يفر بهذا من إثبات الصفة، ومآله إلى التعطيل، ولم يصل إلى التعطيل حتى مر بقنطرة التشبيه؛ لأنه تخيل أن اليد لا يمكن إثباتها إلا على ما يليق بالمخلوق، مع أن هذا الكلام ليس بصحيح من أصله.

الإمام ابن خزيمة في كتاب (التوحيد) لما ذكر الوجه لله -جل وعلا- **{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ}** [(27) سورة الرحمن] قال: وجه يليق بالله -جل وعلا-، **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [(11) سورة الشورى] وإذا تصورنا عدم المشابهة بين المخلوقات، فعدم التشابه بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

يقول: المخلوقات لها وجوه: الجمل له وجه، والقرد له وجه، والإنسان له وجه، والنملة لها وجه، والجرادة لها وجه، إذا نظرنا في هذه المخلوقات بينها تشابه وإلا ما بينها تشابه؟ بون كبير بين هذه المخلوقات، لا نسبة بينها إلا أنها تشترك في أمور، فإذا نفي التشابه بين هذه المخلوقات فلئن ينفى التشابه بين الخالق والمخلوق من باب أولى؛ لأن متى نعرف كيفية الشيء؟ نعرفه إذا رأيناه، أو رأينا نظيره، أو جاءنا عنه ما يدل عليه، ولم يحصل شيء من ذلك، يعني هذه الكيفية التي تخيلها المبتدعة، ومروا بها حتى وصلوا إلى النفي والتعطيل، هذه لا يمكن الوصول إليها، وهو علم الكيفية، لماذا؟ لأن معرفة الكيفية لا تمكن إلا من خلال ثلاثة أشياء: إما رؤية الشيء، ونحن لم نر الله -جل وعلا-، ولن يره أحد حتى يموت، على ما سيأتي في الرؤية، أو نرى نظيره حيث يقول: إن هذا مثل كذا، أو يأتينا عنه بالتفصيل الكيفية ولم يأتِ.

قد يقول قائل: إن حديث الصورة ((فإن الله خلق آدم على صورته)) ما دام على صورة آدم فنحن عندنا ما يمكن أن نحيل إليه، ونعرفه بالنظر إليه، وصورة آدم مثل صورة أولاده؛ لأن الله خلق آدم على صورته، نعم الطول ستون ذراعاً، وأولاده ما زالوا ينقصون إلى أن وصلوا إلى ثلاثة أذرع أربع أذرع بالكثير، فما دام الله خلق آدم على صورته، والعلماء يختلفون في عود الضمير، هل على صورته يعني على صورة هذا المضروب؟ لأنه نهى عن ضرب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته، يعني على صورة هذا المضروب، أو على صورة الرحمن، كما جاء في بعض الروايات، وهذه يختلف أهل العلم في ثبوتها، وعلى كل حال لو ثبتت ما دلت على التشبيه؛ لأن إثبات الصورة لا يعني إثبات التشبيه من كل وجه، لا يعني إثبات المشابهة من كل وجه؛ فأول

زمرة تدخل الجنة على صورة البدر، يعني هل نقول: إن أول زمرة تدخل الجنة تدخل بدون عينين ولا أنف ولا فم ولا...، يمكن أن نقول هذا؟ فإثبات الصورة أمر إجمالي لا تفصيلي، وليس في هذا مستمسك لمبتدع، ورواية على صورة الرحمن مسألة مختلف فيها، أو الزيادة هذه مختلف فيها، ومن أهل العلم من يثبتها، وعلى سبيل التنزل لو ثبتت كما قال بعض أهل العلم ليس فيها مستمسك لمبتدع.

وجميع آيات الصفات أمرها ....

أمرها إمراراً، يعني هل إمرار من يثبت الصفات لآيات الصفات وأحاديث الصفات كإمرار الكلام الذي لا معنى له؛ لأن هناك شيء يقال له: التفويض؟ وآيات الصفات: جاء عن سلف هذه الأمة أنها تمر كما جاءت، لا شك أن آيات الصفات وأحاديث الصفات يعني نصوص الصفات لها معاني، فالاستواء له معنى، اليد لها معنى، الرجل لها معنى، النزول له معنى، والمعنى معلوم، لكن كيفية هذا المعنى مجهولة، ففرق بين الإمرار كما جاء في الوارد من كلام السلف، وبين تفويض المفوضة؛ فالتفويض لا شك أنه بدعة، وبعض الناس يلتبس عليه الأمر، أنه ما دام نمرها كما جاءت معنى أننا لا نفهم لها شيء، المعنى معلوم الاستواء، والكيف مجهول، فالذي نفوضه الكيفية، والمعنى نعرفه، في لغة العرب ما يدل عليه، لكن مع ذلك لا نسترسل في بيان هذا المعنى، بل نقتصر على ما ورد عن سلف هذه الأمة، يعني فرق بين أن تقول: اليد معروفة المعنى، عندك مثلاً شخص ما رأيته اسمه: زيد، وأنت ما رأيته، هل تقول: إن هذه الكلمة ما أعرفها لأني ما رأيت زيدًا؟! نعم تعرف هذه الكلمة زيد أنه علم على شخص مأخوذ من الزيادة، وما أشبه ذلك، له معنى، لكن هل دلالة الاسم على المسمى هل يمكن أن تتصور أن طوله زائد من اسمه غيب وأنت ما رأيته؟ أو عرضه زائد أو وزنه زائد؟ لا، أنت تعرف أن لها معنى، لكن كيفية هذا المعنى المطابق لهذا الشخص ما تعرف، يعني فرق بين زيد وديز عكس زيد.

المفوضة يقولون: ينزل ربنا مثل ديز، ما نعرف لها معنى، كأنها ديز عكس زيد، ديز وإيش معناها؟ لها معنى وإلا ما لها معنى؟ ما لها معنى، لكن زيد لها معنى، تطبيق هذه الكلمة على الذات الله أعلم بها، لأننا ما رأينا زيدًا الذي يتحدث عنه، نعرف أن زيدًا مأخوذ من الزيادة، ومأخوذ من كذا، لكن تطبيق الاسم على المسمى نجهله؛ لأنا ما رأيناه، ولا قيل: إنه مثل عمرو الذي يسكن عندكم، علشان نقارب بلونه وطوله وعرضه، ننسبه إلى نظيره،...... لأنا جاءنا كتابات مسحوبة من الانترنت عن شخص يقرر مذهب التفويض، معتمداً على ما جاء عن الأئمة في مثل هذا الكلام، أمروها كما جاءت، نقول: لا يا أخي التفويض بدعة، لكن الإيغال في المعنى أيضاً يدخلك إلى البحث عن الكيفية وهذا بدعة أيضاً، فأنت اعرف من الكلمة ما جاء عن سلف هذه الأمة، ولا تزد على ذلك، المعنى معلوم، والكيف مجهول، والله المستعان.

وجميع آيات الصفات أمرها حقاً..............................

{فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ} [(32) سورة يونس] يعني نعتقد ما اعتقده خيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

"**كما نقل الطراز الأول**" قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، سمعنا الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول عن الله -جل وعلا-: ((إن الله ينزل)) كما سيأتي، و((إن الله يبسط يده)) وكما قال الله -جل وعلا- **{بَلْ يَدَاهُ**

مَبْسُوطَتَانِ} [(64) سورة المائدة] لا نتعدى القرآن والحديث.

"**كما نقل الطراز الأول**" الرعيل الأول، خيار هذه الأمة ((خيركم قرني، ثم الذين يلونهم)) الطراز الأول الذين هم الجيل الأول، والرعيل الأول من الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة وأئمتها، والطراز الأصل فيه النقوش والتطريز الذي يكون على الثياب؛ لأنها زينة، ولا شك أن سلف هذه الأمة زينة لهذه الأمة، كما أن النجوم زينة للسماء.

وأرد عهـدتها إلـى نقالهـا وأصونها عن كل ما يتخيلُ

بلغني عن الثقات أن الله ينزل كل ليلة، فالعهدة على هؤلاء الثقات، العهدة عليهم، هناك موازين لقبول الروايات والمرويات، عليَّ أن أطبق هذه الموازين، فإذا ثبتت هذه المرويات لثقة نقلتها العهدة عليهم؛ لأنه قد يكون القائل: الراوي ثقة لا إشكال لكونه ثقة، لكن ليس بمعصوم، نقول: نعم ليس بمعصوم، ولو افترضنا مثل هذا الكلام ما قبلنا خبر ألبتة، لكن ما دام ثقة قبول خبره لازم، ما لم يعارض مما هو أوثق منه، والعهدة عليه، إن أخطأ يتحمل، ولا يتفق الرواة في مثل هذا الباب على خطأ، لا يمكن أن يتفق الرواة على خطأ في مثل هذه الأمور التي يتعبد بها الناس كلهم.

"**وأرد عهدتها**" يعني المسئولية أبرأ من مسئوليتها وعهدتها؛ لأنني اتَّقيت، جعلت هناك وقاية بيني وبين الخطأ، جعلت بيني وبين الخطأ أو الافتراء أو التوهم العمدة على هؤلاء الرواة الثقات الذين قبل الأئمة مروياتهم.

وأرد عهـدتها إلـى نقالهـا وأصونها عن كل ما يتخيلُ

فالله -جل وعلا- لا تدركه الأفهام، ولا تبلغه الأوهام، بل قرر جمع أهل العلم أن كل شيء تتخيله عما غاب عنك فهو على النقيض؛ لأنه لا يمكن أن تدرك شيئاً بالنسبة للمخلوقين، سمعت كلامًا بشريط مثلاً وتوقعت من هذا الكلام، من هذا الصوت أن هذا لونه أبيض وقامته طويلة وجسمه كذا أو العكس، الواقع خيب هذه الأوهام باطراد، فأنت تتوقع أن هذا الشخص الذي يتكلم طوله كذا، وعرضه كذا من خلال سماع كلامه، ثم بعد ذلك إذا رأيته ما وجدت شيئاً مما توقعته.

طالب:.......

نعم؟

طالب:.......

قد يصيب، أنا أقول: قد يصيب، بالنسبة لله -جل وعلا - ما يمكن إطلاقًا، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، هذا مقرر عند أهل العلم، لكن أقول: إذا كان هذا بالنسبة للمخلوق الذي نوعه وجنسه معروف، جنسه معروف بالنسبة للمخلوق، يعني فالإصابة محتملة، لكن مع ذلك نادرة جداً، من خلال سماع كلام بعض الناس يعني تتوقع شيئًا نقيض الواقع، هذا بالنسبة للمخلوق والمخلوق نظيره مشاهد ومرئي فكيف بالخالق؟!

.... وأصونها عن كل ما يتخيلُ

يعني لا تتخيل شيئًا، عليك بما معك، وما لديك من النصوص، وتنتهي عند ما سمعت.

قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه وإذا استدل يقول: قال الأخطلُ

"**قبحاً**" يعني قبح الله من نبذ القرآن وراءه، وتركه وترك الاعتماد عليه والاستدلال به والتعويل عليه.

.... وإذا استدل يقول: قال الأخطلُ

الأخطل معروف أنه شاعر نصراني فكيف يترك الاستدلال بالكتاب والسنة، ويعتمد على قول نصراني في مسألة تتعلق بالله -جل وعلا-، وكلام النصارى في الكلام معروف، وضلالهم فيه معروف، هذا إن ثبت البيت له:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

هذا أولاً لا يوجد في ديوانه في أصوله المعتمدة؛ ولذا نفاه كثير من أهل العلم، نفى النسبة إلى الأخطل، ولو ثبتت نسبته إلى الأخطل فمثل هذا لا يقبل من ألف ثقة، فضلاً عن شاعر، فضلاً عن كافر نصراني، قول النصارى في الكلام معروف، وعيسى كلمة الله – جل وعلا – جعلوها جزءاً منه، وبضعة منه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه وإذا استدل يقول: قال الأخطلُ

وشيخ الإسلام يُشنع، الناظم يشنع على من يترك الاستدلال بالكتاب والسنة، ويستدل بمثل هذا القول، القول الباطل.

وشيخ الإسلام ذكر هذا البيت في مجموع الفتاوى، ونسبه إلى مبهم، قال المنشد:

"**قبحاً لمن نبذ القرآن**" ما نسبه لنفسه ولا نسبه إلى شاعر غيره، فما زال الاحتمال قائماً أن يكون هذا البيت ضمن هذه القصيدة، وهي له أو ليست له الاحتمال قائم.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:

تباً لهاتيك العقول فإنها والله قد مسخت على الأبدان

تباً لمن أضحى يقدمها على الأخبار والآثار والقرآن

والناظم -رحمه الله تعالى-:

قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه وإذا استدل يقول: قال الأخطلُ

هذا في المسائل الأصلية يعتمد على قول نصراني أو مجهول لا يدرى من هو، أو مولد لا يستدل بشعره، وكثير من المنتسبين إلى المذاهب تجده يعارض القرآن بقول الإمام، ومنهم من جعل الكتاب والسنة لمجرد البركة، والمعول على أقوال الأئمة، وأنه لا يجوز العدول عن أقوال الأئمة ولو خالفت القرآن بالنص بالحرف يقول الصاوي في حاشيته على الجلالين: "ولا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة، ولو خالفت الكتاب والسنة وقول الصحابي" ثم قال: "لأن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر" نسأل الله العافية.

والمؤمنون يرون حقاً ربهم وإلى السماء بغير كيف ينزلُ

الناظم -رحمه الله تعالى- يقرر في هذا البيت الرؤية، رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، ويقرر أيضاً النزول الإلهي في الثلث الأخير من الليل، فالرؤية ثابتة بنصوص الكتاب والسنة **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [(22-23) سورة القيامة] والنظر إذا عدي بـ(إلى) صار حقيقة في الرؤية البصرية **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}** [(15) سورة المطففين] عذبوا بالحجاب؛ لأنهم كفار، فمقابلهم من المؤمنين يرون، فإذا كان عذابهم بحجابهم عن الله -جل وعلا- فنعيم أهل الجنة برؤيته تبارك وتعالى **{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}** [(26) سورة يونس] جاء تفسيرها بالنظر إلى الرب -جل وعلا- ((إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون)) جاء في رواية: ((ترونه كما ترون الشمس ضحوا ليس دونها سحاب)) وفي رواية: ((صحواً)) فالرؤية ثابتة يراه المؤمنين في الجنة، وهذا أعظم نعيم يتنعم به أهل الجنة.

وأطلق جمع من أهل العلم تكفير من ينفي الرؤية؛ لأنها ثابتة بالنصوص القطعية من كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- وأنكرها الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج من الإباضية وغيرهم أنكروا الرؤية، وقالوا: إن الرؤية تستلزم الجهة، والله -جل وعلا- ليس في جهة، لكن المقرر عند أهل السنة والجماعة أنه في جهة العلو، ليس فوقه شيء، فإثبات الجهة ونفيها مما لم يخض فيه السلف، ولم يرد به نص، فإذا أطلقت الجهة نفيًا أو إثباتاً، لا بد من الاستفصال، فمن أثبتها مريداً بها جهة العلو فحق، وإن أريد بها جهة ثانية غير العلو فلا، ومن نفاها مريداً بها نفي سائر الجهات غير العلو فكلامه صحيح، وإن أراد بذلك نفي الجهة ويريد بذلك نفي العلو لله -جل وعلا- على خلقه فكلامه باطل، فالله -جل وعلا- مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، فوق سبع سماوات، وأدلة العلو أكثر من أن تحصر

والمؤمنون يرون حقاً ربهم ....

المبتدعة اعتمدوا في نفي الرؤية على أنها تستلزم الجهة، وبقول الله -جل وعلا- لموسى: **{لَن تَرَانِي}** [(143) سورة الأعراف] وقالوا: إن (لن) هذه للتأبيد، يعني لن تراني أبداً، والرد عليهم من وجوه:

أولا: أن (لن) لا تقتضي التأبيد.

الأمر الثاني: أنه علق الرؤية على أمر ممكن، **{وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}** [(143) سورة الأعراف] علق الرؤية على أمر ممكن وليست مستحيلة كما يقولون، ولو كانت مستحيلة لما طلبها موسى -عليه الصلاة والسلام-، فهي ممكنة، لكن **{لَن تَرَانِي}** في الدنيا، وجاء في الحديث أنه: ((لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت)) فالرؤية في الدنيا غير ممكنة، ولن هذه ليست للتأبيد كما يقول المعتزلة، ويقرره الزمخشري.

ففي قوله -جل وعلا- **{وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا}** [(95) سورة البقرة] مع قوله: **{فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ}** [(94) سورة البقرة] ومع قوله: **{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}** [(77) سورة الزخرف] تمنوه، فـ(لن) مع التأبيد ما دلت على التأبيد، فدل على أن (لن) لا تقتضي التأبيد، وابن مالك -رحمه الله تعالى- يقول:

ومن رأى النفي بـ(لن) مؤبداً ... فقولـــه انبـــذ وســـواه فاعضـــدا

قد يقول قائل: ماذا عن قول الله -جل وعلا-: {لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا} [(73) سورة الحج]؟ إذا كانت (لن) ليست للتأبيد فبالإمكان أن هؤلاء الذين صنعوا ما صنعوا من الطائرات والغواصات وغيرها يصنعون ذباب؛ لأن (لن) ليست للتأبيد؟ نقول: دلت الأدلة الأخرى أنهم لن يخلقوا مخلوقًا من مخلوقات الله -جل وعلا- لن يوجدوا مثله، والتمثيل المذكور في آخر سورة الحج يدل على أنهم أحقر من أن يخلقوا لو سلبهم شيئًا ما استطاعوا أن يستخرجوه منه {وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ} [(73) سورة الحج] لن يستطيعوا، ولذلك يقول أهل العلم من الأطباء: إن في لعابه مادة تتلف ما سلبه مباشرة، هذا المخلوق الضئيل الحقير لو اجتمعت أمة الثقلين تستخرج من الذباب ما سلبه ما استطاعوا، فكيف يستطيعون أن يخلقوا مثله؟! هو أعظم من أن يخلقوا مثله.

فالرؤية -رؤية المؤمنين لربهم في الجنة- ثابتة بالدلائل القطعية من الكتاب والسنة، وأما بالنسبة لرؤيته في الدنيا فلا، فلن يراه أحد حتى يموت، والخلاف في النبي -عليه الصلاة والسلام- هل رأى ربه في الإسراء بين الصحابة معروف.

وأجاب -عليه الصلاة والسلام- لما سئل، قال: ((نور أنى أراه؟)) يعني كيف؟ استبعاد؛ لأن تركيب البشرية في حال الدنيا لا تطيق مثل هذا.

ولذا قال جاء في الخبر الصحيح: ((حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه من انتهى إليه بصره)) فكيف يثبت مخلوق لرؤية البارئ في هذه الدنيا بتركيبه الدنيوي، ما يمكن.

الرؤية رؤية الرب -جل وعلا- في المنام، عرفنا أنه في اليقظة لا يمكن، من أهل العلم كابن عباس وغيره من أثبتوا الرؤية رؤية الرب ليلة الإسراء من قبل النبي -عليه الصلاة والسلام-، لكن المرجح عند أهل السنة أنه لم يره، رؤية الرب -جل وعلا- في المنام في حديث اختصام الملأ الأعلى ما يدل على أن النبي -عليه الصلاة والسلام- رآه، وفيه أيضاً حوادث وقصص للصحابة، ومن تبعهم بإحسان أنهم ذكروا أنهم رأوه.

على كل حال في حال اليقظة لا يمكن أن يراه أحد حتى يموت، فإذا دخل الجنة وهو من أهل الإيمان رآه -إن شاء الله تعالى-، وأما في حال الدنيا فلا، وبالنسبة لما حصل في الرؤية والمنام، فالإمكان حاصل.

والمؤمنون يرون حقاً ربهم ....

حقاً صدقاً اعتقاداً جازماً؛ لأن ذلك ثبت بالنصوص القطعية وحكم جمع من أهل العلم بكفر من ينفي الرؤية.

.... **وإلـــى الســـماء بغيــر كيــف ينــزلُ**

ينزل إلى السماء الدنيا على كيفية يعلمها الله -جل وعلا-، وتخفى علينا، وحديث النزول متواتر عند أهل العلم: ((ينزل ربنا في الثلث الأخير)) في بعض الروايات: ((النصف)) وفي بعضها: ((الثلث الأول)).

وشيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- بسط الكلام على هذا الحديث في كتاب متوسط، يعني مطبوع ليس بمجلد وليس برسالة صغيرة، يعني في حدود مائة صفحة أو أكثر، شرح فيه حديث النزول، وأجاب عن الإشكالات التي أوردت عليه.

الله -جل وعلا- ينزل إلى السماء الدنيا على كيفية الله أعلم بها نزولاً حقيقياً، ولا يخل منه العرش في

قول أكثر أهل السنة، وإن قال بعضهم: إنه يخلو منه العرش حال النزول، لكن الأكثر أنه لا يخلو منه العرش، والمبتدعة يقولون: هذا لا يمكن، لماذا؟ لأنهم تصوروا النزول الإلهي كأنه كنزول البشر، يلزم عليه ما يلزم على نزول البشر، وهذا الكلام ليس بصحيح، يعني إذا وجد بعض ما يحير العقل بالنسبة لبعض المخلوقات فكيف بما يتعلق بالخالق؟ بعض العقول تحتار عن بعض الأمور المنسوبة إلى المخلوق، الشمس في فلكها، الشمس تجري في فلكها إذا غابت عن بلد وجدت في بلد آخر، ومع ذلك تسجد تحت العرش في آخر كل ليلة، وتستأذن، هل عقولنا تدرك مثل هذا؟ ما تدرك، وقدم الإسلام كما يقرر أهل العلم لا تثبت إلى على قنطرة التسليم، ما لنا في مثل هذه المقامات إلا أن نقول: سمعنا وأطعنا.

فالنزول الإلهي على ما يليق بجلال الله وعظمته، وأورد أيضاً على الحديث أن ثلث الليل متفاوت من بلد إلى آخر، فإذا انتهى من بلد بدأ في بلد آخر، إلى ما لا نهاية، فهذا مما أورد على الحديث، وجوابه في شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية، وأن الإنسان عليه أن يتعامل مع نصوص الشرع حسبما يليق به هو، أنت في الثلث الأخير تعرض لنفحات الله، وما عليك بأهل السند وأهل الهند وأهل المغرب، ما عليك إلا من نفسك، أنت أمرت في هذا أمر ترغيب، أمرت في هذا الوقت أن تتعرض لنفحات الله، الله -جل وعلا- يقول: هل من سائل؟ هل من داعي؟ هل من مستغفر؟ أنت تعرض ولا عليك من غيرك، في هذا الوقت المحدد لك، ولا شك أن مثل هذا لو بحث الإنسان فيه، واستغرق في بحثه سنخرج بنتيجة، ولا بد من الوقوف عند مثل هذه النصوص، شيخ الإسلام له كلام طويل في هذا جلى فيه كثير من الشبهة الواردة على الحديث.

.... **وإلـــى الســـماء بغيـــر كيـــف ينـــزلُ**

ابن بطوطة صاحب الرحلة المشهورة ذكر في رحلته أنه دخل دمشق، وذهب إلى الجامع الأموي، ووجد شخصًا كثير العلم، قليل العقل، يتحدث عن حديث النزول، يشرح حديث النزول على المنبر، ثم نزل من خلال درج المنبر، وقال: إن الله ينزل كنزولي، وسماه، يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذه محض فرية؛ لأن شيخ الإسلام في الوقت الذي دخل فيه ابن بطوطة الشام مسجون في القلعة، فابن بطوطة لا يوثق به، لا بأخباره ولا بعلمه ولا برحلته ولا بوصفه؛ لأن هذه الرحلة مشحونة بالشركيات والاعتقاد في الأولياء، وأنهم يصرفون الكون، مشحونة، يعني ما يمر ببلد إلا يبحث عن القبور، ويذكر له قبر في رأس جبل يقصده الأيام من أجل أن يتبرك به، ودعا وزعم في بعض الأولياء أنهم يصرفون الكون.

وأقول: من أراد أن يطلع أو يفهم كتاب التوحيد، وما يضاد ما في هذه الأبواب في كتاب التوحيد يقرأ مثل هذه الرحلة، يجد الأمثلة لما يضاد هذه الأبواب، والله المستعان، نسأل الله السلامة والعافية، فمثل هذا لا يوثق به ولا بكلامه، علماً بأن الشيخ -رحمه الله تعالى-، ما عرف عنه مثل هذا، وهو من أشد الناس تنزيهًا لله -جل وعلا-، ومع ذلك يثبت ما أثبته الله لنفسه، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

لمعالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:		المكان:	

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح لامية شيخ الإسلام (3)

الشيخ: عبد الكريم الخضير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم اغفر لنا ولشيخنا والمؤمنين يا رب العالمين.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-:

وأُقِـرُ بـالْمِيـزَانِ وَالْحَـوضِ الَّـذِي	أَرجُـو بـأَنِّي مِنْـهُ رَيّاً أَنْهَـلُ
وَكَـذَا الصِّـراطُ يُمَـدُّ فَـوْقَ جَهَـنَّمٍ	فَمُسَـلَّمٌ نَـاجٍ وَآخَـرَ مُهْمَـلُ
والنَّـارُ يَصْـلاَهَا الشَّـقِيُّ بِحِكْمَـةٍ	وَكَـذَا التَّقِـيُّ إِلـى الجِنَـانِ سَـيَدْخُلُ
ولِكُـلِّ حَـيٍّ عَاقِـلٍ فـي قَبْـرِهِ	عَمَـلٌ يُقارِنُـهُ هُنَـاكَ وَيُسْـأَلُ
هـذا اعْتِقَـادُ الشَّـافِعِيِّ ومَالِـكٍ	وَأَبِـي حَنِيفَـةَ ثُـمَّ أَحْـمَدَ يُنْقَـلُ
فَـإِنِ اتَّبَعْـتَ سَـبِيلَهُمْ فَمُوَفَّـقٌ	وَإِنِ ابْتَـدَعْتَ فَمَـا عَلَيْكَ مُعَـوَّلُ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الناظم -رحمه الله تعالى- في البيت الحادي عشر:

"**وأقر**" يعني بلساني وجناني، بل أعتقد جازماً اعتقاداً لا شك فيه، ولا مراء بالميزان الذي توزن به الأعمال، توزن به الحسنات والسيئات، وتوزن به الصحف، ويوزن به العامل، فالوزن للأعمال في قول أهل العلم، والوزن لصحف الأعمال، وقد يوزن بعض الأشخاص، فقد ثبت في الحديث الصحيح أنه: ((يؤتى بالرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)) فهو يوزن.

والأصل الوزن للأعمال الصالحة والسيئة، والميزان حقيقي وليس بمعنوي، كما يقول أهل البدع، بل حقيقي له كفتان وله لسان، في إحدى الكفتين توضع الحسنات، وفي الأخرى توضع السيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته فهو ناج ومن أهل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته فهو الخاسر، وقد خاب وخسر من زادت آحاده على عشراته، فإذا رجحت كفة الحسنات فهذا يدخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته فهذا يدخل النار بقدر سيئاته، إن كان مسلماً معترفاً مقراً بالله -جل وعلا-، ثم بعد ذلك إذا عذب بقدر سيئاته إن لم تتداركه رحمة أرحم الراحمين فإنه يعذب بقدر ذنوبه، ثم يخرج منها، ويكون مآله إلى الجنة، وأما من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فقال جمع من أهل العلم: إنهم هم أهل الأعراف، هم أهل الأعراف، فهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، يحبسون على الأعراف، ثم يكون مآلهم إلى الجنة.

"**وأقر بالميزان**" المعتزلة ينكرون الميزان، والأحاديث الواردة في الميزان تفيد القطع، وكذلك ما جاء في القرآن من التنصيص على الوزن وعلى الميزان والموازين، **{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}** [(47) سورة الأنبياء] **{فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}** [(8) سورة الأعراف] **{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ}** [(9) سورة الأعراف] كل هذه تدل دلالة قطعية على وجود وثبوت الميزان، وينفي وينكر المعتزلة الميزان، ويقولون: إن الحسنات والسيئات معاني، والمعاني لا توزن، والله -جل وعلا- قادر على تحويل هذه المعاني إلى أعيان بحيث تكون لها أجسام بقدرها توضع في الميزان، وكلمة التوحيد في بطاقة إذا وضعت في كفة رجحت بما يقابلها، كما في حديث البطاقة: وأن شخصاً قررت سيئاته فاعترف بها، وهي في تسعة وتسعين سجلاً، فيقال: هل من حسنة؟ فيقول: لا، لا أذكر، فيقال: نعم لك حسنة، فيأتى بالبطاقة التي فيها كلمة التوحيد، فيقول: يا رب ما تصنع هذه البطاقة في مقابل هذه السجلات؟ فتوضع في الكفة الأخرى فتطيش السجلات وترجح البطاقة.

وأقــر بــالميزان والحــوض الــذي ....

المعتزلة من حججهم وشبههم في نفي الميزان أن الله -جل وعلا- ليس بحاجة إلى وزن الأعمال، فقد كتبت وهو يعرفها، ويعرف النتيجة، وأن هذا سعيد، وأن هذا شقي، وأن هذا من أهل النار، وأن هذا من أهل الجنة، وهو في بطن أمه قبل أن يخلق، قبل أن يوجد، وفي علم الله -جل وعلا- ذلك قبل... المقصود أن هذه من شبههم، والفائدة من الميزان كما قرر أهل العلم أن يقتنع كل إنسان بنتيجته، فلا يقول من دخل الجنة: أنا دخلت الجنة بعملي، ولا يقول من دخل النار: أنا عذبت وعوقبت بأكثر مما أستحق، فإذا نظر إلى عمله وقرر عليه، وأقر به واعترف، ووضع في الميزان ليس له حجة، فينقطع عذره، وتخرج النتيجة من عالم الغيب إلى عالم الشهود.

فإنكار الميزان من شأن المبتدعة، وهو ثابت بنصوص الكتاب والسنة، ومن أنكر الميزان إنكاراً لا تأويل له فيه هذا لا شك أنه يكفر، لكن من تأوله وقال: نعم نقر بالميزان، وأنه ميزان معنوي، ولا شك أن بدعته مغلظة وكبيرة، لكن القول بتكفيره مع وجود مثل هذا التأويل قد يكون بعيداً.

وأقــر بــالميزان والحــوض الــذي أرجــو بــأني منـــه ريـــا أنهـــلُ

الحوض حوض النبي -عليه الصلاة والسلام-، ونهر الكوثر الذي أعطيه -عليه الصلاة والسلام- من الأمور الثابتة بالدلائل القطعية بنصوص الكتاب والسنة، أما في الكتاب فالسورة المشهورة بالكوثر **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}** [(1) سورة الكوثر] وهو نهر في الجنة، نهر في الجنة مسيرة شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وآنيته عدد نجوم السماء، يشرب منه من تبعه -عليه الصلاة والسلام-، ويذاد عنه من خالف، وهل الحوض هو الكوثر النهر المعروف أو غيره؟ وهل الحوض خاص بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، أو لكل نبي حوض؟ دلت الأدلة أن لكل نبي حوض، والنهر، نهر الكوثر خاص بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، وثبت أنهم يردون الحوض، ترد أمته الحوض، ويعرفهم بسيماهم من آثار الوضوء، ويذاد عنه من يذاد، فيقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: ((إنهم أصحابي)) فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، يعني من المرتدين المغيرين المبدلين؛ فليحرص الإنسان على الاتباع، وأن لا يعمل عملاً إلا بأثر لينال مثل هذا الشرف؛ لأن من شرب منه لم يظمأ، من شرب من هذا

الحوض لم يظمأ أبداً، فإذا كان يذاد عنه المرتد، ويذاد عنه المغير والمبدل لشرع الله؛ لأنه أحدث بعد النبي –عليه الصلاة والسلام–، والحدث يشمل الحدث المخرج عن الملة، ويشمل الحدث المخالف الذي يتضمن مخالفة من بدع ونحوها، فعلى الإنسان أن يلزم السنة.

وأقــر بــالميزان والحــوض الــذي   أرجــو بــأني منــه ريــا أنهــلُ

عبيد الله بن زياد والي من الولاة كان ينكر الحوض، فسأل عنه بعض الصحابة وأخبره بعض الصحابة ثم اعترف به، وفي حديث أبي برزة عند أبي داود أن أبا برزة –رضي الله عنه– دخل على عبيد الله بن زياد، وقال له عبيد الله بن زياد: إن محمديكم الدحداح، يعني ينبز أبا برزة بنسبته إلى النبي –عليه الصلاة والسلام–، وينبذه بلقب، ويعيبه بعيب، وما له عيب سوى صحبة النبي –عليه الصلاة والسلام–، فطال الكلام بينهما فأخبره عن الحوض، وأحاديث الحوض متواترة، ثبوتها قطعي، وأجمع عليه سلف الأمة، وبعد ذلك قال به.

وعلى كل حال المخالفة لا تضر إلا صاحبها، يعني لو افترضنا أن ابن زياد هذا مع أنه مخالف في أمور كثيرة يخالف لا يضر إلا نفسه، وسخريته من الصحابي بنسبته إلى النبي –عليه الصلاة والسلام–، ونبذه إياه، وتلقيبه إياه بالدحداح لا شك أن هذا دليل على استهتار، وهذا من شؤم مخالفة السنة، فمخالفة السنة تجر إلى مثل هذا، نسأل الله السلامة والعافية.

.... والحـوض الـذي   أرجــو بــأني منــه ريــا أنهــلُ

يرجو الناظم كما يرجو غيره من المسلمين أنهم يشربون من هذا الحوض حتى يرتووا منه، والنهل هو أول الشرب، ينهل ثم يعل، يعني يشرب مرة بعد أخرى.

ثم قال –رحمه الله–:

وكــذا الصــراط يمــد فــوق جهــنم   فمســـلم نـــاج وآخـــر مهمـــلُ

الصراط يمد على متن جهنم، لا بد أن يجوزه الناس كلهم، ويكون جوازهم له على حسب أعمالهم، فمنهم من يكون مروره كالبرق، ومنهم من يكون كأجود الريح، ومنهم كأجاويد الخيل، ومنهم من يمشي، ومنهم من يهرول، ومنهم من يحبو، ومنهم من يكبو ويكب على وجهه في النار، نسأل الله السلامة والعافية.

وكــذا الصــراط يمــد فــوق جهــنم   ....

وجهنم اسم من أسماء النار، نسأل الله العافية.

"**فمسلم ناج**" في بعض النسخ: "فموحد ناج" وأما المشرك فإنه لا ينجو، المشرك لا ينجو، بل يكب.

"**وآخر مهمل**" في بعض النسخ: "يهمل" المسلم الذي هو الموحد ينجو، ويجوز الصراط بحسب عمله، وأما الآخر غير المسلم غير الموحد، وهو المشرك يهمل، فلا يعان على جوازه، فيكب على وجهه في النار، نسأل الله السلامة والعافية.

والنـــار يصـــلاها الشـــقي بحكمـــة   ....

النار لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى.

والنـــار يصـــلاها الشـــقي بحكمـــة وكـذا التقــي إلــى الجنــان سـيدخلُ

الشقي والأشقى الذي جاءه الخبر عن الله وعن رسوله فلم يرفع به رأساً، أمر فلم يأتمر، ونهي فلم ينته، ولم يزدجر، مثل هذا –نسأل الله السلامة والعافية– شقي، وسيصلى نار جهنم، نسأل الله العافية "بحكمة" يعني لا بظلم من الله –جل وعلا– وإنما بحكمة؛ لأن الله –جل وعلا– هداه النجدين، وبين له الطريق، وأوضح له السبيل، وأنار له الطريق المستقيم، وتركه النبي –عليه الصلاة والسلام– على البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، فاختار طريق الردى، والناس كلهم يدخلون الجنة إلا من أبى، فمن أطاع النبي –عليه الصلاة والسلام– دخل الجنة، ومن عصاه فقد أبى، فالذي يأبى بعد البيان لا يلوم إلا نفسه، وإنما هي الأعمال تحصى، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، فالشقي يصلى النار بحكمة الله –جل وعلا– وعدله، يعني بما كسبت وبما جنت يداه.

"**وكذا التقي**" يعني من جعل بينه وبين عذاب الله وقاية، وكذا التقي الفاعل المأمورات، والمجتنب للمحذورات "**إلى الجنان سيدخل**" فريق في الجنة، وفريق في السعير، ولا ثالث لهما، فليختر الإنسان ما دام في وقت الإمكان يختار نجاة نفسه، وما ينجيه من عذاب الله –جل وعلا–، ولا يمهل ولا يسوف أو يتأخر بالامتثال أو يتردد، ثم يفاجأ بالموت وهو لم يستعد.

وهما فريقان كما قال الله –جل وعلا–: **{فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}** [(7) سورة الشورى] والله –جل وعلا– لما خلق الخلق ميز المكلفين بالعقول التي هي مناط التكليف، وبين لهم وهداهم إلى السبيل، فالذي يختار غيره يجني على نفسه.

ولكــل حـــي عاقــل فـــي قبـــره ....

يعني لكل حي يعني قبل وفاته، عاقل: يعني مكلف، يعني من كان حياً عاقلاً مكلفاً إذا مات وُجد في قبره

.... عمـــل يقارنـــه هنـــاك ويســـألُ

فالأعمال تصحب أصحابها، فإذا مات الميت تبعه أهله وماله وعمله، فيرجع المال من دابة ونحوها، مما يركب إليه، وكذلك يرجع الأهل ويبقى العمل.

ولكــل حـــي عاقــل فـــي قبـــره عمـــــل........................

ثم إن هذا العمل إن كان حسناً صالحاً جاءه في صورة شاب حسن الوجه يؤنسه في قبره، ويدافع عنه، وثبت أن الأعمال الصالحة تدافع عن أصحابها، والقرآن يأتي شفيعاً لأهله يوم القيامة، والزكاة تدافع عن مؤديها، والصلاة وهكذا، تأتي هذه الأعمال الصالحة على صورة شاب حسن الوجه، وتأتي الأعمال السيئة –نسأل الله العافية– على أقبح صورة موحشة "**عمل يقارنه هناك**" فإما أن يكون مؤنساً له، أو موحشاً، "**ويسأل**" عن عمله يمتحن يبتلى في قبره، فإذا انصرف أهله عنه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه يجلسانه فيسألانه من ربك؟ وما دينك؟ وما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ أما المؤمن يجيب بالجواب المعروف، فيقول: ربي الله، وديني

الإسلام، ونبيي محمد –عليه الصلاة والسلام–، هذا الرجل آمنا به وصدقنا، وأما من سواه الكافر أو المرتاب فيقول: هاه؟ هاه؟ لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، ثم يضرب بمرزبة من حديد يسمعها كل من يليه إلا الثقلين، وهذا يدل على أن الثقلين لا يسمعون عذاب المعذبين، ولو سمعوا لصعقوا، والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: ((لولا أن تدافنوا)) وفي بعض الألفاظ: ((لولا أن لا تدافنوا لأسمعتكم)) يعني لولا أن تدافنوا يعني يدفن بعضكم بعضاً لكثرة من يموت، ولولا أن لا تدافنوا: بحيث يوجد من لا يمكن دفنه لكثرة من يموت، والوجهان يمكن حملهما على معنى صحيح.

فهذا يدل على أن المعذبين لا يسمع عذابهم، وقد يسمع من باب الاعتبار، أو قد يُرى في النوم شيء من هذا، أو قد يحصل أن ينبش قبر لأمر من الأمور فيرى العذاب فيه، كما ذكر ذلك الحافظ ابن رجب في قصص كثيرة في كتاب له أسماه: (أهوال القبور) ويكون هذا لحكمة ليعتبر ويدكر من حاله، وقد تظهر بعض العلامات أثناء التغسيل علامات حسن الخاتمة أو ضدها، كل هذا ليعتبر المكلف ويدكر ويزدجر، فإن رأى العلامات الحسنة سأل عما كان يعمله من الأعمال الصالحة وعمل مثله، وإن كان بخلاف ذلك سأل أيضاً ليحذر من هذه الأعمال التي يرتكبها من ختم له بسوء، نسأل الله العافية، يُسأل يسأله الملكان، وجاء في تسميتهما المنكر والنكير، وهما ملكان، وقال بعضهم: إنهما ثلاثة أو أربعة بشير ومبشر، ومنكر ونكير، وجاءت بذلك روايات لا تثبت، وإنما الثابت أنهما ملكان، وتسميتهما بمنكر ونكير جاءت في بعض الأحاديث من طرق متعددة، مما يدل على أن له أصلاً.

هــذا اعتقـــاد الشـــافعي ومالــك ....

هذا اعتقاد الأئمة الأربعة، الشافعي ومالك...

.... وأبـــي حنيفــة ثــم أحمــد ينقــلُ

ذكر الأربعة غير مرتبين، والنظم له ظروفه، فقد لا يستطيع الناظم أن يأتي بهم على الترتيب الزمني، وقد لا يستطيع أن يأتي بهم على الحروف، ترتيبهم على الحروف؛ لأنه قد لا يطاوعه النظم، فيأتي بهم كيفما اتفق، وهنا قال:

هــذا اعتقـــاد الشـــافعي ومالــك وأبـــي حنيفــة ثــم أحمــد ينقــلُ

الشافعي هو الثالث منهم، ومالك الثاني، وأبو حنيفة الأول، ثم أحمد هو الرابع، ولو قال: أحمد ثم الشافعي ثم مالك ثم أبي حنيفة نقول: رتبهم على سبيل الترقي، ولو قال: أبو حنيفة ثم مالك ثم الشافعي ثم أحمد نقول: رتبهم ترتيباً زمنياً على سبيل التدلي.

والشافعي أحد الأئمة المتبوعين، ويتبعه جموع غفيرة من المسلمين على مر العصور، منذ اثني عشر قرناً أو أكثر، فولد سنة مائة وخمسين، السنة التي توفي فيها أبو حنيفة، ومات سنة أربع ومائتين، يعني عن أربع وخمسين سنة، ومذهبه له انتشار واسع جداً، ولأصحابه وأتباعه من خدمة العلم والدين ما لهم فكثير من المفسرين، وشراح الحديث والفقهاء والأئمة من الشافعية، ويكثر فيهم أيضاً الأئمة المتبعون للحديث والأثر بحيث

يخالفون ما عليه إمامهم، ويتبعون الأثر، ويكثر فيهم أيضاً المخالفون في الاعتقاد، فكثير من الشافعية منهم الأشعرية، ومنهم من تلبس ببدعة أخرى، ومنهم من هو على الجادة، كالحافظ ابن كثير والمزي وغيرهما والذهبي أئمة هدى.

توفي الشافعي سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة، يعني الآن عندنا أبا الخمسين أو الخمسة والخمسين يظن نفسه في ريعان الشباب، وأنه بقي له من العمر أكثر مما مضى، وهو لا يدري لعله يقبض في اليوم أو في غد.

الإمام الشافعي الذي ملأ الدنيا علماً مات عن أربع وخمسين سنة، إذا كان الإنسان لما ينظر في مؤلفات أتباعه التي ملأت أمصار المسلمين يقول: إن الشافعي هذا يمكن عاش ألف سنة، وليست العبرة بالمدة العبرة بالبركة، تصور أن الشافعي لو حسبت الشافعية من زمن الشافعي إلى يومنا هذا في كل مسألة من مسائل العلم، يقول: قال الشافعي -رحمه الله-، وهذا مذهب الشافعي -رحمه الله-، هذه بركة العلم.

وأما مالك فهو نجم السنن.

طالب:......

إيش هو؟

طالب: الواو.......

ثم أحمد، يعني الثلاثة عطفهم بالواو التي لا تقتضي الترتيب.

طالب:......

نعم ثم أحمد، لكن الكلام فيمن لم يرتب، هو الآن قدم الشافعي؛ لأن التقديم بالذكر نعم ينبغي أن يكون له حظ من النظر الزمني، يعني الأصل أن يقول: أبو حنيفة ثم مالك ثم الشافعي ثم أحمد، هذا الأصل؛ ولذا في البحوث العلمية في بحث المسائل العلمية ينبغي أن يرتب الأئمة حسب الترتيب الزمني، إن كان الباحث يقتدي بإمام معين مثلاً، وأراد أن يقدمه على غيره، ثم يعطف عليه الأئمة بقية الأئمة يعطفهم على ترتيبهم، وقل مثل هذا في تخريج الأحاديث، كثيراً ما يقال: رواه البخاري ومسلم، ثم بعد ذلك السنن، ثم المسانيد، وهكذا، على حسب القوة، ومنهم من لا ينظر إلى هذا، وينظر إلى الترتيب الزمني، فيقدم مالك ثم الشافعي والطيالسي ثم يذكر أحمد، ثم يذكر البخاري ثم مسلم وهكذا، على الترتيب الزمني، ويقدم عليهم على الأئمة عبد الرزاق وابن أبي شيبة، وإذا نظرنا إلى القوة قدم الصحيحين ثم السنن ثم المسانيد ثم المصنفات ثم المعاجم.

والترتيب الذكري كما هنا ينبغي أن يكون تابعاً للترتيب إما في الوجود أو في القوة، وهنا أنسب ما يكون ترتيبهم على الزمن والعطف وإن كان بالواو والواو لا تقتضي الترتيب إلا أن للأولية حظ من الأولوية، ولذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لما رقي على الصفا: ((أبدأ بما بدأ الله به)) فكون الأئمة يرتبون على حسب الترتيب الزمني هو الأولى، فيقدم الإمام أبو حنيفة ثم مالك ثم الشافعي ثم أحمد.

"**هذا اعتقاد الشافعي**" يعني هذه عقيدة الإمام الشافعي، بل المسائل التي ذكرت في هذه المنظومة كلها متفق عليها بين الأئمة الأربعة وغيرهم من سلف الأئمة وأئمتها.

"**ومالك**" نجم السنن مالك بن أنس إمام دار الهجرة، مولود سنة ثلاث وتسعين توفي سنة تسع وسبعين ومائة، وممن أخذ عليه الشافعي، أخذ عنه العلم الشافعي، والإمام مالك نجم السنن، ومذهبه مشهور، وأيضاً أتباعه فيهم كثرة، ويكثرون في المغرب، كثرتهم في المغرب، والإمام أبو حنيفة يقولون: الإمام الأعظم، وهو أكثر الأئمة تبعاً، وكل المسلمين في المشرق على مذهبه -رحم الله الجميع-، ولد سنة ثمانين، ومات سنة مائة وخمسين، ومذهبه معروف ومشهور، وأتباعه فيهم كثرة، ولهم أيضاً وجود في التأليف والتفاسير، وشروح الحديث والفقه لهم أيضاً يد طولى في هذا الباب.

ثم أحمد إمام أهل السنة، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل آخر الأئمة وجوداً، وهو من الأئمة الفقهاء، ومن أهل الحديث والأثر، وإن غلب عليه الرواية إلا أن فقهه معروف ومدون ومشهور، وأتباعه أيضاً لهم وجود إلا أنهم أقل، الإمام أحمد أقل تبعًا من الأئمة الثلاثة، حتى إن بعضهم لا يعده من الفقهاء، لماذا؟ لأنه أكثرهم حديثاً فهو يحفظ من الحديث سبعمائة ألف حديث، وكونه لا يعد من الفقهاء لا يعني أنه ليس بفقيه، ابن عبد البر صنف (الانتقاء في باب فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء) ولم يدرجه معهم، وهذا أمر عادي ومعروف، وما يزال إلى يومنا هذا، أن من اشتهر بشيء، عُرف بشيء غطى هذا الشيء على غيره، يعني أنت لو تسأل عن شيخ الإسلام ابن تيمية فمباشرة ينصرف ذهنك ويتجه إلى العقيدة، وتصنفه على أنه من أئمة علماء الاعتقاد، مع أنه من كبار الفقهاء، ومن كبار المحدثين، حتى قيل: "كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث" وتفسيره للقرآن يشهد به الخاص والعام، ومعرفته للتواريخ وأحوال الأمم شيء لا يخطر على البال، هل يمكن أن يصنف شيخ الإسلام بأنه مؤرخ، مع أنه يعرف من التاريخ أكثر من ابن كثير، وأكثر من ابن الأثير، لماذا؟ لأن عنده جانب صار كالشمس في حياته، غطى ما عداه على غيره.

فالإمام أحمد عرف بالحديث، لكن لا يعني أنه ليس بفقيه، لا يعني أنه ليس بإمام من أئمة الاعتقاد اعتقاد السلف هو حامل راية عقيدة السلف -رحمه الله-، فالناس لا يستوعبون، خلاص إذا هجم الذهن على جانب من الجوانب غطى ما عداه، يعني لو أن عالماً من أكبر العلماء اشتهر بالخطابة صنف خطيبًا، يصنف خطيبًا، الناس ما يحسنون وزن الناس، تجده إذا اشتهر بشيء خلاص كأنه لا يعرف غيره، وبعض طلاب العلم تأثراً بمثل هذا قيل له: لماذا لا تشرح كتاب الرقاق؟ قال: لا أود أن أصنف واعظًا؛ لأنه إذا عرف بهذا الأسلوب جرد عن غيره، الناس كثير منهم لا يستوعب، يعني عرفت عنايته بالحديث معناه أنه ليس بفقيه، وبهذا يرمى كبار المحدثين بأنهم ليسوا بفقهاء، وعلى رأسهم الإمام أحمد، ولذا ينفر من مذهبه، وأن مذهبه مذهب أهل الحديث، وفيه شدة، الإمام البخاري -رحمة الله عليه- من كبار سادة الفقهاء، ومن نظر في الصحيح عرف حقيقة ما أقول، وعنده دقة في النظر والاستنباط، قد لا يوازيه كثير من الأئمة، فهو فقيه، وإن كان محدثاً؛ لأنه عرف بالحديث، فمن اشتهر بشيء لا شك أنه يهجم على قلوب الناس ما عرف عنه، واشتهر به، ويغطي ما عداه كالشمس، وإن كان الإمام أحمد فقهه واضح ومشهور، وأقواله متداولة، وأتباعه في كثرة، ومصنفاتهم لا تخفى على أحد.

"**ثم أحمد ينقل**" يعني ينقل عنهم هذا الاعتقاد، ينقل عن هؤلاء الأئمة هذا الاعتقاد، فأنا أرويه عنهم

بالنقل، شيخ الإسلام يسأل عنه محمد رشيد رضا فيقال: هل شيخ الإسلام ابن تيمية أعلم من الأئمة الأربعة أم هم أعلم منه؟ فيجيب بجواب فيه إنصاف، يقول: باعتبار شيخ الإسلام ابن تيمية تخرج على كتب الأئمة الأربعة، وعلى كتب أصحابهم لا شك أن لهم الفضل عليه من هذه الحيثية، وباعتبار اطلاعه على ما كتبه الأئمة الأربعة، وكتبه أتباعهم وإحاطته بذلك لا شك أنه يفوقهم من هذه الجهة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

من أهل العلم من عرف بالتفنن، بمعنى أنه يحسن العلوم كلها، وإذا تكلم في علم ظننت أنه لا يحسن غيره، بمعنى أنه لا يغلب عليه علم من العلوم بحيث يطغى على غيره، وإنما يكون متفنناً عارفاً بالقرآن وعلومه كأهله، وعارفاً بالسنة وعلومها كأهلها، وعارفاً بالفقه كالفقهاء قواعده وأصوله، وعارفاً بالاعتقاد ومذاهب الناس، المقصود أنه يوجد مثل هذا؛ ولذا تجد في تراجم العلماء في السير وغيرها، يقال: المفسر، المحدث، الفقيه، المتفنن، الأديب، المؤرخ؛ لأنه مشارك في جميع هذه العلوم، لكن إن رجح عنده علم من العلوم غطى على غيره.

فــإن اتبعــت ســبيلهم فموفــق ....

لا شك أن هذه علامة التوفيق أن يكون الإنسان مقتدياً بهؤلاء السلف، يتبع سبيل من سلف، اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وهذه علامة التوفيق، توفيق الإنسان أن يكون على الجادة وليست عنده شواذ، متبع لا مبتدع.

فــإن اتبعــت ســبيلهم فموفــق وإن ابتــدعت فمــا عليــك معــولُ

يعني اخترعت قولاً تنسبه إلى الدين مما لم يسبق له شرعية في الكتاب ولا في السنة "**فما عليك معولُ**" فأنت متروك مطَّرح أنت وما ابتدعته على حد سواء.

والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.